الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

موسومة بـ:

صورة المتنبي في كتاب "مع المتنبي" لطه حسين

إعداد الطالبين :

- شرف إبراهيم
- هني عبدالقادر

إشراف الأستاذ :

تواتي خالد

السنة الجامعية

1436- 1437 هـ

2015-2016م

كلمة شكر

قال القاضي الفاضل رحمه الله تعالى:

« إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر »

نتقدم بتشكراتنا الخالصة إلى كل من ساهم في تحريك عجلة هذا البحث ومدّ لنا يد العون والمساعدة وخاصة الأستاذ المشرف " تواتي خالد" الذي كان لنا نعم المراقب والمرشد والمصوِّب، كما نتوجه بشكرنا الجزيل إلى قسم اللغة العربية وآدابها بدءا برئيس المركز الجامعي وإلى كل الأساتذة وكافة الطلبة.

إهداء

إلى زوجتي أم البنين، وأبنائي، وإلى أخي بوعلام هني الذي وقف إلى جانبي وكان لي نعم العون ونعم السند

هني عبد القادر

إهداء

ليت النجوم تعند لي فأنظمها عقود مدح فما أرضى لكم كلمي

من مجامر العود الهندي أهدي لكم تحية من قلبي لا
بيدي تحية ود لا تقابل بالرد.
إلى روح والدي الكريمين، إلى نصفي الآخر (زوجتي) إلى
أملي وقدوتي وطموحي الجامح بثينة ومحمد
إلى إخوتي جميعا وأصدقائي بلا استثناء لهم مني الدعاء
والثناء أهدي هذا الجهد المقل،
والنملة تعذر بالحمل الأقل.

أبو بثينة

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيد الأولين والآخرين، محمد عليه أزكى صلاة وتسليم وبعد:

يأتي هذا العمل تتويجا لمسار الدراسة في طور الماستر تخصص أدب عربي قديم، نحاول من خلاله أن نتناول صورة المتنبي –شاعر العربية الأعلى صوتا عبر العصور- لدى عميد الأدب العربي "طه حسين".

والمعروف عن "طه حسين" أنه أحد المعالم الثقافية والفكرية في العصر الحديث، صاحب مشروع تنويري سعى من خلاله إلى خلخلة العقل العربي ودعا إلى تجاوز كل التصورات المحافظة والموروثة ويأتي كتابه " مع المتنبي" كجزء مهم من هذا المشروع ويعتبر أيضا من أهم الدراسات المنهجية في موضوع تاريخ الأدب. تناول فيه أعظم شاعر في تاريخ العربية، راسما له صورة مغايرة عن تلك الصورة التي درج عليها المنشغلون بالأدب وهي أيضا صورة مناقضة ومشاكسة لبعض الدراسات التمجيدية للمتنبي.

ونحن في هذا البحث نحاول أن نقف على طبيعة الصورة التي رسمها لنا "طه حسين" حول المتنبي، والبحث عن الخلفيات والأسباب والدواعي التي دفعته لرسم تلك الصورة؟

إذ أنَّ اختيارنا لهذا الموضوع جاء بإشارة من الدكتور المشرف علينا، إذ رأى أن كتاب" مع المتنبي" لم يستوفي حقه من الدرس، وأن الردود على هذا الكتاب لا تكاد تذكر لذلك أُسند إلينا مَهمة البحث والاستقصاء في هذا الموضوع وكدنا نقول أننا انفردنا بهذا البحث، وأننا كنا السبّاقين إلى فكرته، حتى إذا دخلنا غماره، ونظرنا مليّاً في قراره، اكتشفنا أننا لسنا الأولين ولسنا الهادين، وأننا لم نفز بقصب السبق وأنَّ غيرنا سبقنا إلى ما كنا نتوق إليه.

ونود الإشارة في هذا السياق إلى كتاب الباحث" محمد آيت لعميم" من خلال كتابه " المتنبي الروح القلقة والترحال الأبدي"، فهو كتاب ثري ونحن نعده بحق " الكشاف" الذي ولجنا من خلاله إلى كتاب طه حسين " مع المتنبي" وكتاب آخر هو كتاب " الرؤوس" لـــ " مارون عبود"، وتحت عنوان " رأس ضخم" راح " مارون عبود" يتتبع كتاب " مع المتنبي" فصلا فصلا وبابا وبابا، إلاَّ أننا وجدنا دراسته تنطلق أيضا من خلفيات " قطرية" و "اديولوجية".

هذا إلى عدد كثير من الكتب الأساسية ككتاب " المتنبي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا" للأستاذ "محمد محمود شاكر" وكتاب الدكتور عبدالوهاب عزام " ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام" هذه الكتب التي أفدنا منها أيَّما إفادة خصوصا في الجوانب التي رأينا أن الدكتور " طه حسين" قد نقل عنهما أو حاور بعض نصوصها، وتبقى – في نظرنا- كل المصادر والمراجع التي استعنا بها في بحثنا مفيدة وقيّمة.

وتماشيا مع مقتضيات البحث الأكاديمي، لقد لجأنا إلى تقسيم البحث إلى:

– **مقدمة:** جاءت على شكل بطاقة فنية شرحنا من خلالها تصورنا لموضوع البحث.

– **مدخل:** تناولنا فيه حضور المتنبي في الدراسات الأدبية والنقدية القديمة.

–**الفصل الأول:** هو الجزء النظري من البحث الذي تطرقنا من خلاله إلى:

– السياق التاريخي لتأليف الكتاب.

–الخلفيات والمرجعيات الفكرية المؤسسة لنقد الدكتور طه حسين.

-**الفصل الثاني:** يمثل الجانبي التطبيقي من هذا البحث لذلك ركزنا على استجلاء صورة المتنبي من خلال كتاب "طه حسين" وقسمناه إلى:

- قراءة في مقدمة الكتاب: حيث وقفنا على عتبة كتاب " مع المتنبي" أين تجلى لنا بوضوح منهج "طه حسين" وطريقته في رسم المتنبي.

- **صورة المتنبي الشخصية:** حاولنا تجميع النقاط وأجزاء هذه الصورة المتفرقة في ثنايا الكتاب متتبعين الخط الذي اتبعه "طه حسين" في تصوريه لشخصية المتنبي.

-**شعرية المتنبي:** تطرقنا في هذا الباب إلى آليات قراءة النصوص، والمفاتيح التي اشتغل عليها الدكتور طه حسين في تفكيكه للنص الشعري، وكذا رصد الأحكام النقدية التي أطلقها الدكتور في نقد أشعار المتنبي.

- **بعد الفراغ:** هو الجزء الأهم في كتاب "طه حسين"، إلا أننا خصصناه لطرح الأسئلة دون أن نحاول تقديم إجابات لتلك الأسئلة ونرى بأن الفصل الأخير من كتاب "مع المتنبي" يحتاج إلى دراسات وقراءات منفردة متخصصة.

- **الخاتمة:** جاءت خاتمة هذا البحث على شكل نقاط، تمثل النتائج التي توصلنا إليها، وتجميع لما فرقه "طه حسين" في ثنايا كتابه من تصورات وأحكام نقدية.

ولقد استعنا في بحثنا هذا بالمنهج الوصفي والمنهج التحليلي، هذان المنهجان اللذان يوافقان طبيعة بحثنا، كما استفدنا أيضا من المنهج الانطباعي عندما تعلق الأمر بالرد على بعض التعليقات وبعض الأحكام النقدية التي رأينا أنها تصدُر عن تأثر وانطباع.

إن الحديث عن الصعوبات والعراقيل التي صادفتنا أثناء إعداد هذا البحث المتواضع تدفعنا إلى شي من البوح الذي لا نرجو من خلاله استمالة أعضاء لجنة المناقشة فقط، وإنما نراه جزءا من الأمانة العلمية والأخلاقية التي يجب على كل باحث أكاديمي أن يتحلى بها.

وهناك جانب كبير من هذه العراقيل راجع إلى طبيعة في نفسينا، طبيعة تميل إلى كسل، وإلى العجز عن فعل الكتابة، وترجع أيضا إلى نقص الخبرة في انجاز مثل هذه الرسائل والبحوث الأكاديمية. ناهيك عن عدم امتلاكنا لتلك اللغة الواصفة التي نعتبرها عماد كل كتابة ناجحة.

هذا ولقد أنفقنا وقتا طويلا في البحث عن المصادر والمراجع المكملة للبحث، دون أن ننسى ارتباطنا بوقت وبمدة زمنية محددة مما جعلنا لا نستغل كل تلك المراجع والمصادر استغلالا جيداً.

وإحقاقا للحق وبعيد عن أي تواضع مزعوم نقول بأننا لم نبلغ الغاية في بحثنا هذا وأن جوانب النقص والتقصير فيه كثيرة ومتنوعة هذا وإن توفرت النية في أن يكون بحثنا هذا وافيا وشافيا، إلا أن عدتنا كانت ناقصة وأدوات البحث قليلة لذلك جاءت نتائجه صورة مصغرة لأفكارنا فالكمال لله وحده فهو المعين وهو حسبنا.

وفي ختام القول لا يسعنا إلاّ أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذنا المشرف اعترافا بفضله فلقد كان نعم الموجه والمرشد كما نتوجه بالشكر الجزيل أيضا إلى الأساتذة الأعضاء أعضاء لجنة المناقشة لصبرهم الجميل على قراءة هذه المذكرة، ونشكرهم على جهدهم وجزاهم الله عنا خير الجزاء.

مدخل

حضور المتنبي في الدراسات الأدبية والنقدية القديمة

يعد التراث الأدبي العربي خزان معرفة كبير، ومستودع علوم وفنون، بما يزخر به من تصانيف قيّمة، وتآليف متنوعة، وأمهات كتب نادرة ورسائل ثمينة في شتى المجالات والميادين، وإلى جانب هذا فتراث الأمة هو ذاكرتها الجماعية، وشعورها الذي ينحدر من الأسلاف، عاقدا الصلة بين الماضي والحاضر والمستقبل.

ويرجع سر اهتمام الباحثين المحدثين بهذا " السلاح الناعم"، وانشغالهم بالبحث عن مجهوله وتحقيقه ونشره وإعادة قراءته وترميمه إلى مدى وعي هؤلاء الباحثين بهذا الإرث الحضاري والإنساني وقيمته المادية والمعنوية.

ويعتقد " عز الدين إسماعيل" أن العرب انقطعوا مدة زمنية طويلة عن تراثهم، وأن هذا الانقطاع لم يأت لظروف "ابستيمولوجية" وإنما جاء نتيجة ظروف تاريخية، لذلك كان من الضروري الرجوع إليه واستعادته والكشف عن مجهوله وقراءته واستيعابه [1].

ويوافقه في مسألة الاستعادة هذه، ولكن من منظور مختلف، عن " عبدالسلام المسدي" إذ يرى « أن العرب يواجهون تراثهم لا على أنه مُلك حضوري لديهم، ولكن على أنه ملُك افتراضي يظل بالقوة ما لم يستردوه، واسترداده هو استعادة له، واستعادته حمله على المنظور المنهجي المتجدد، وحمل الرؤى النقدية المعاصرة عليه»[2].

وإن اتفق النقاد والباحثون على أهمية هذا الموروث الثقافي والحضاري، لكنهم يختلفون حول كيفية التعامل معه، هل نتصرف معه على أنّه جزء من وعينا؟ أم نعامله على أنّه موضوع مستقل بذاته متناهي في زمانه؟

1 – عز الدين إسماعيل، قراءة جديدة لتراثنا النقدي، النادي الثقافي جدة، 1990، ص:14.

2 – عبد السلام المسدي، قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، دار سعاد صباح، القاهرة، ط 4، 1992، ص: 67.

وفي هذا الصدد نجد أنفسنا نميل إلى ما ذهب إليه "جابر عصفور" في قراءته للتراث النقدي القديم إذ يرى أنه « لا توجد قراءة بريئة أو محايدة للتراث، ذلك لأننا عندما نقرأ التراث ننطلق من مواقف فكرية محددَة، لا سبيل إلى تجاهلها ونفتش في التراث عن عناصر للقيمة الموجبة أو السالبة بالمعنى الذي يتحدد إطاره المرجعي بالم ـــواقف الفكرية الذي ننطلق منها »[1].

ولا تُرانا نضيف جديدا إذا ما قلنا بأن حضور المتنبي في هذا التراث الواسع كان ولا يزال حضورا قويا، وأن حصته في الدراسات الأدبية والنقدية كانت ولا تزال حصة الأسد، وكأن اسمه صار مرادفا للأدب والشعر، فلا يكاد يذكر أحدهما إلا ذكر الآخر ونص "الثعالبي" يشهد على هذا الحضور القوي والمتميز، فبعد أن يصفه بنادرة الفلك وواسطة عِقد الدهر وأن ذكره سار سير الشمس والقمر، يحدثنا عن حضور المتنبي الرهيب في المجالس والأندية وغيرها « فليست مجالس الدرس بأعمر بشعر أبي الطيب من مجالس الأمس، ولا أقلام كتاب الرسائل أجدى به من ألسن الخطباء في المحافل، ولا لحون المغنين والقوَّالين اشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين، وقد أُلفت الكتب في تفسيره وحل مُشكله وعويصه، وكثرة الدفاتر على ذكره وجيِّده ورديئه »[2].

ومن حسنات المتنبي على الأدب العربي ونقده، تلك المعارك النقدية التي تأججت نارها في القرن الرابع الهجري والتي كانت من نتائجها أن زخرت المكتبة العربية بعدة كتب ورسائل قيّمة، فبعد كتاب "الموازنة بين الطائيين" للآمدي و " أخبار أبي تمام للصولي"، جاء المتنبي ليملأ الدنيا ويشغل الناس فكتب عنه القاضي الجرجاني " الوساطة بين المتنبي وخصومه " وكَتب

1 - جابر عصفور، قراءة التراث النقدي، مؤسسة عيبال للدراسات والنشر ، ط1، 1991، ص:05.

2 - أبو منصور عبد المالك الثعالبي النيسابوري، أبو الطيب المتنبي وأخباره ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط2، 1925، ص: 81.

الحاتمي رسالته « فيما توارد من المعاني بين المتنبي وأرسطو، وكُتبت رسالة "الصّاحب بن عباد" في الكشف عن مساوئ المتنبي وغيرها »[1].

وعلى الرغم ما قيل في ابن عباد ورسالته " الكشف عن مساوئ المتنبي ورسالته" حيث ي ته م بأنه كتبها بدافع الحقد والانتقام لأن المتنبي لم يجره مجرى مقصوديه من رؤساء ذلك الزمان، فإننا نجد بعض المصادر تحدثنا عن رسالة أخرى في انصاف المتنبي منسوبة إلى "الصّاحب بن عباد"، يقول محققها: « وعلى الرغم من الدوافع العدائية الحاقدة لتأليف تلك الرسالة فإن ذاك العداء والحقد لم يطمس حسنات المتنبي في نظر ابن عباد، و لم يمنعه من التأثر بهذا الشاعر الكبير ومن الاستشهاد بشعره، بل من غربلة سائر قصائده ونخلها تنخيلا دقيقا لاستخراج " الأمثال السائرة" من ذلك الشعر وجمعها في رسالة منفردة »[2].

هذا ما يجدر بشخصية أدبية مرموقة وذائعة الصيت مثل شخصية "الصّاحب ابن عباد" وأمثاله الذين يسعون إلى إحقاق الحق، ولو كان ذلك على حساب أنفسهم أما عن الدواوين وشروحها فإن شروحات شعر المتنبي والتعليقات عليه ا فإنها تعد منبعا ثراً للدراسات الأدبية والقضايا النقدية لاسيما إذا كان الشارح أديبا متميزا أو شاعر ا معروفا فإن أحكام هؤلاء تعد مدخلا مهما من مداخل النقد الأدبي مثل شرح "ابن الجني" و "أبي العلاء المعري " و "ابن المستوفي" وغيرهم[3].

و لم يكن المغاربة أقل حظا من إخوانهم في المشرق حبا للمتنبي وشعره، والدارس لهذه القضية يعرف بأن الصِلات الثقافية بين مشرق الوطن العربي ومغربه لم تنقطع عبر العصور، ولعلّ

1 – ينظر: الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد تح الشيخ محمد حسين آل ياسين، الكشف عن مساوئ المتنبي، مكتبة النهضة بغداد، 1965، ص:28.

2 – الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد تح الشيخ محمد حسين آل ياسين، الأمثال السائرة من شعر المتنبي والروزنامجة، مكتبة النهضة بغداد –بدون تاريخ–ص: 08.

3 – نجم مجيد علي، تعليقات الوحيد الأزدي على شرح ديوان أبي الطيب المتبي المسمى (الفُسر) ، ، مجلة الأدب العدد 59، almaarifa.com.

الشيء الذي يميز دراسات المغاربة ويعتبر سمة لها هو « عناية أهلها بالأسانيد و لم تكن الرواية عندهم من متعلقات الحديث وغيره من العلوم الدينية فحسب، وإنما أخذوا بها في سائر العلوم النقلية تقريبا »[1].

فمازال إلى حد اليوم طلبة العلم يحفظون ديوان المتنبي حفظا متواترا وتحكي بعض المصادر عن نسخة من شعر المتنبي وصلت إلى القيروان في حياة المتنبي وأن " المتيم الافريقي أبي حسن بن احمد المغربي" كان راوية للمتنبي وألف كتابا أسماه " الانتصار الهي في فضائل المتنبي".

ومن لطيف ما حدث مع نقد شعر المتنبي: هو انتقاد هذا الأديب الشاعر لغلو المتنبي وقال في تعليقه على بيته[2]:

كأني دعوت الأرض من خبرتي بها كأني بَنى الإسكندر السد من عزمي

ومن أجل هذا كان "الأعلم الشنتمري" يكف عن تدريس المتنبي إذا دخل شهر رمضان وينهى طلبته عن قراءته خلال الشهر المعظم بينما كان يستمر في إقراء شعر "أبي تمام".

أما عن حضور "أبي الطيب المتنبي " في الأدب الحديث فهو أعرف من أن يذكر ولا داعي لإثبات العلاقة بين الشاعر العربي المعاصر وتراث أمته، فمظاهر هذا التراث الكبير واضحة المعاني خصوصا عند شعراء الحداثة يقول أحد الباحثين: « لعل من حقنا أن نتساءل في البداية: لماذا يختار شعار "كالأخطل الصغير" و "عبد الله البردوني" و "محمود درويش" و "أمل دنقل" و"سليمان العيسى" و"فايز خضور" و"عبد الوهاب البياتي" وآخرون شخصية المتنبي لتكون في قصائدهم صورة أو رمزا أو قناعا أو سوى ذلك؟ »[3].

1 – محمد بن شريفة، أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة، دار الغرب الإسلامي بيروت ، ط01، 1986، ص:74.

2 – المرجع نفسه، ص: 137.

3 – ثائر زيد الدين، أبو الطيب المتنبي في الشعر المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1995، ص: 08.

وهذا أيضا أكبر دليل على الحضور المستمر لهذه الشخصية العربية الفذة فلقد كان المتنبي ولا يزال الطائر المحكي وغيره الصدى، ويتمثل ذلك في كثرة القصائد التي كُتب قديما وحديثا في معارضته وكثرة تضمين أبياته، فهي حِلية أشعارهم وزينتها.

تلكم بعض صور المتنبي التي تثبت حضوره القوي في الدراسات الأدبية والنقدية، والحديث عن صورة المتنبي عند " طه حسين" في كتابه أو غيره ممن اشتغلوا على إعادة كتابة سيّر الأدباء يبقى من الصعوبة بما كان، لأن مصوّر الأديب أو الشاعر لا يتعامل مع فرد أو مجموعة من الأفراد وإنما يتعامل مع حياة إنسانية كاملة « قد يظن بعض الناس أن تصوير الشخصيات الأدبية عمل سهل، بحيث يستطيع من قرأ أثار أديب وشيئا من حياته أن يرسم صورة جيدة واصفة له، وليس هذا الظن بصحيح فإن تصوير الأُدباء من أصعب الأشياء، إذ لابد لمن يرسمهم أن يرسم ملامحهم الأدبية رسما بينا بالضبط كما يرسم الرسامون الوجوه بتقاسيمها وكل ما يميزها »[1].

لهذه الصعوبة يشترط " شوقي ضيف" لمصور الشخصيات الأدبية أن يتحلى بالموضوعية، وأن يظهر في تصوريه أنه غير متعصب على صاحبها ولا متحيز له.

وفي حديثه عن تأثير البيئة على الأديب وفنه فهو يعتقد أن هناك من الأدباء من انفصل عن الوسط الزماني والمكاني الذي يعيش فيه « وكأن أزمة خطيرة قامت بينهم وبين وسطهم، ولابد أن نعرف هذه الأزمة حتى نعرف كيف تخلصوا من وشائج الوسط وروابطه»[2].

هذا ما يدفعنا إلى الإقرار بأن تصوير الشخصيات الأدبية عمل عسير، لا يخلو من ذاتية، خصوصا إذا تعلق الأمر بشخصية مركزية في تاريخنا الأدبي مثل شخصية أبي الطيب المتنبي.

1 - شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف ، ط5- بدون تاريخ- ص: 58.

2 - المرجع نفسه، ص:61.

الفصل الأول
السياق التاريخي والخلفيات المؤسسة لكتاب " مع طه حسين"

1- وقفة مع سيرة طه حسين.
2- الخلفيات الفكرية لمنهج طه حسين في النقد.
3- السياق التاريخي لتأليف كتاب" مع المتنبي".

1- وقفة مع طه حسين :

في قرية الكيلو من إقليم المنيا بصعيد مصر وبالتحديد في الرابع عشر من نوفمبر عام ألف وثمانمائة وتسعة وثمانين ولد طه حسين أبرز الأدباء والمفكرين في القرن العشرين اسمه الكامل طه حسين علي حسين سلامة فهو الأديب والناقد المصري الذي ذاع صيته في الآفاق [1] يُلقّب بالعميد، وقاهر الظلام، أسَّس للكثير من الأفكار التي مازالت محلَّ خِلاف بين العلماء والمفكرين[2]، مبدع السيرة الذاتية في كتابه الأيام، ويُعدُّ من الأوائل الذين دعوا إلى الانفتاح على الغرب، وأبرز من نادى في العالم العربي بحرية الأدب والفن، في حين يراه آخرون رائد من رواد التغريب.

كان والده موظفًا بسيطاً، يَعُول ثلاثة عشر ولدا طه حسين سابعهم [3] فقد بصره في السادسة من عمره نتيجة الفقر والجهل، وفي قرية "مغاغة" عاش طفولته الباكرة، وحفظ القرآن قبل أن يغادرها إلى الأزهر الشريف طالبا للعلم .

كان لأستاذه"محمد عبده" الدَّور الكبير والأثر البالغ في تكوين شخصيته النقدية، فقد نفث في رَوْعِهِ التمرد على طرائق الإتباعيين من مشايخ الأزهر، الأمر الذي جعله يطرد ويلجأ إلى الجامعة المصرية التي تحصل منها على درجة الدكتوراه سنة (1914) وبهذا يكون أول من نال هذه الشهادة[4] عن أديبه الأثير " أبي العلاء المعري " .

وجد طه حسين في لطفي السَّيد – زعيم حزب الأمة وفي التيار الفكري المتحرر الذي خلقه هذا الأخير بيئة ملائمة تماما لفكره، فلقد كان ينادي بف صل الدين عن الدولة و الأخذ بفكرة الدولة المدينة العصرية، كما نادى أيضا بتحرير المرأة وسفورها ، وكان لانفتاح لطفي

1- طه حسين و رسالة التنوير العربي، الحوار المتمدن www.ahewa.torg

2- محمد أحمد فرج عطية، طه حسين و الفكر الإستشراقي، وزارة الأوقاف، قطر، ط 1، 2014 .

3- مجلة المختبر، أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، جامعة بسكرة الجزائر، العدد التاسع –2013.

4- محمود مهدي الإستنبولي، طه حسين في ميزان العلماء، المكتب الإسلامي بيروت ط 1، 1983 .

السيد على الثقافات الغربية دورا مهما في توجيه طه حسين وإغرا ئه[1] – بالتوجه إلى الآداب الأجنبية.

انتقل طه حسين إلى باريس لمتابعة الدراسات العليا ونجح في نهاية المطاف في الحصول على شهادة الدكتوراه الفرنسية من جامعة ا لسربون التي أنجزها حول "فلسفة ابن خلدون الاجتماعية. في أكتوبر سنة ألف وتسعمائة وتسعة عشر (1919)، عاد طه حسين إلى مصر ليعمل أستاذا لمادة التاريخ القديم بالجامعة المصرية، واستمر في عمله حتى عام ألف وتسعمائة وخمسة وعشرين (1925)، ولقد كرّس هذه السنوات لتدريس التاريخ اليوناني، الذي كان يرى فيه طه حسين أساساً للحضارات بأسرها، وأنَّ الحضارة الإسلامية على الخصوص عالة على الحضارة اليونانية[2].

و في ربيع عام ألف وتسعمائة وستة وعشرين (1926) ألقى دروسه المشهورة عن الشعر الجاهلي التي لم تلبث حين طبعت أن أحدثت دويا شديداً [3]في دوائر الصحافة ومجلس النواب والأزهر لمعارضتها الطابع الإسلامي وأعراف المجتمع وعقائده السائدة في ذلك العصر.

وبصدور كتابه "في الشعر الجاهلي" تكاثرت الردود المعارضة ليصبح طه حسين – رغم الانتقادات الواسعة – أشهر الكُتَّاب في ذلك العصر ، يقول حسين الواد : "شهرة طه حسين ترجع من بين ما ترجع إليه، إلى كتابه في الشعر الجاهلي"[4].

هذا الكتاب الذي أسهم فعلا في الانتقال بالتاريخ الأدبي وبمناهج البحث الأدبي والتاريخي نقله نوعية خصوصا فيما يتصل بتأكيد حرية العقل في الإجتهاد، وظل طه حسين يثير عواصف التجديد من حوله في مؤلفاته المتتابعة ومقالاته الكثيرة سعيا إلى تحقيق مشروعه الفكري والثقافي.

---

1 – محمود مهدي الإستنبولي، طه حسين في ميزان العلماء، مرجع سابق.

2– رشيدة مهران، طه حسين بين السيرة والترجمة الذاتية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ط1، 1979، ص:65.

3– محمد مهدي الإستنبولي، طه حسين في ميزان العلماء، مرجع سابق، ص:71.

4- حسن الواد، تأويخ الأدب، مفاهيم و مناهج، المؤسسة العربية للدراسات و النشر بيروت ط 2، 1993 ، ص: 08.

أصبح عميد ا لكلية الآداب سنة ألف وتسعمائة وثلاثين (1930)اكتسب سمعة جماهيرية حين رفض منح الدكتوراه الفخرية لكبار السياسيين، وحين واجه هجوم أنصار الحكم الاستبدادي في البرلمان، الأمر الذي أدّى إلى طرد العميد خارج أسوار الجامعة التي لم يرجع إليها حتى سقطت حكومة صدقي باشا [1]. يولّى سنة ألف وتسعمائة وثلاثة وأربعين (1943) إدارة جامعة الإسكندرية ومن سنة ألف وتسعمائة وخمسين (1950) إلى سنة ألف وتسعمائة وثلاثة وخمسين (1953) شغل منصب وزير للمعارف لدى حكومة الوفد، وخلال توليه هذا المنصب أحدث ثورة كبرى في نشر التعليم في مصر، وكان شعاره «التعليم ضروري للناس ضرورة الماء والهواء» [2].

تميزت حياته بخطه الواضح الذي يرفض تقاليد مجتمعه وعادته، ويظهر ذلك جلي اً في مؤلفاته، ممّا أثار حفيظة الأدباء والعلماء المصري ين والعرب ضده ، فرُفِعَت ضده الشكاوي وأقيمت له المحاكم القانونية والأدبية[3].

كان لـــ"طه" حسين الأدوار البادية في محاولة تغي ير الذهنية العربية والانتقال بالإنسان من مستوى الضرورة إلى مستوى الحرية ، ومن الظلم إلى العدل ، ومن التخلُّف إلى التَّقدُّم ، فهو قاهر الظلام وداعي للعقلانية وفولتير العرب[4].

ظل يكتب في عهد الثورة المصرية، م نافحا عنها إلى وفاة عبد الناصر، وفي فرنسا تزوّج زميلة له فكانت العينين التي أبصر بهما حياته الباقية، فقد كانت الزوجة والمترجمة له والتي ساعدته كثيرا في الاطِّلاع على ثقافة الآخر، هذا الزواج الذي كان سببا في تهافت الانتقا دات على عميد الأدب والسخرية منه فاتهم في دينه وفي قوميته ووطنيته يقول عنه الرافعيّ أنه مجرد

1- مجلة المختبر .

2- مجلة المختبر.

3- غالي شكري، النهضة و السقوط في الفكر المصري، دار الطبعة بيروت، فبراير1982 ط 2، ص: 248 .

4- مجلة المختبر .

أداة أوروبية استعمارية، غرضه تهوين عرى الإسلام وكثيرا ما يلمز بتسميته "المُبشِّر طه حسين" والمستر حسين"ويُكنِّيه تارة "أبا مرجريت"وأخرى بـــ" أبي ألبرت"[1].

توفي طه حسين في الثامن والعشرين من شهر أكتوبر سنة ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين 1973/10/28 مخلِّفا العديد من الأعمال الخالدة والمؤلفات النادرة منها : "في الأدب الجاهلي"، "الأيام" الذي جاء طرازا فريدا لخص فيه سيرته الذاتية ، إلى بعض الأعمال القصصية مثل "دعاء الكروان"، "شجرة البؤس"، "المعذَّبون في الأرض" ومن كتبه التاريخية : "على هامش السيرة "إلى جانب الكثير من الأعمال النقدية كـــ"حديث الأربعاء"،"من حديث الشعر والنثر"، وأعمال فكرية منها:"مستقبل الثقافة في مصر" وغيرها كثير[2] .

لقد أثار فكره الكثير من الجدل أثناء حياته وأسال الكثير من الحبر بعد وفاته فتأرجح في ميزان الأدباء والمفكرين والعلماء بين ناقد ساخط، يفتش عن هنّاته وسقطاته وبين مريد يراه الأب الروحي للفكر التنويري والمشروع الحضاري.

يقول فيه "أحمد جلهم": «وهكذا جرت العادة بطه حسين، فكلما طرح أفكار جديدة تقوم الأرض وتقعد، فيندفع الكتاب والنقاد هذا يمدح ويهلل وذاك يهاجم بعنف و بقسوة»[3].

ويرى "أحمد دعدوش" أن طه حسين وقف على خط التماس بين تيارين : الأول يدعو إلى التعريب واللحاق بأوروبا في استلاب واضح، بينما يبذل الثاني جهده في الحفاظ على ثقافة المجتمع وأصالته، وأن تجربة طه حسين جاءت في مرحلة عانى فيها الأزهر جمودا فكريا طويلا، وتزامن ذلك مع جهود الشيخ "محمد عبده" ومدرسته الإصلاحية التي حاولت تطوير نظم التعليم[4]. مع الأخذ بعين الاعتبار دور الأزهر الذي ظلَّ محافظا على تشكيل الثقافة الشعبية للمصريين، بل وامتداد رسالته إلى شتى أنحاء العالم كله، وما يثير الريبة والشك في صاحب

1- إبراهيم عوض، معركة الشعراء الجاهلي بين الرافعي و طه حسين، منتدى سور الأزبكية ط1 ،1987 ص: 17 .

2- مجلة المختبر .

3- طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، دار المعارف للطباعة و النشر، تونس، 2001 ، ص: 06 .

4- أحمد دعدوش، طه حسين بين التجديد و التغريب، الكترونيا في يناير 2011، www. Nashir .net

منهج الشك أننا وجدنا على صفحات الانترنت واليوتيوب قصيدة بعنوان "كنت أعبد الشيطان"، جاء في عشرين بيتمطلعها:

كنت أظن أنك المُضِل وأنك تهدي من تشاء[1]

يُصرِّح من خلالها أنه ارتد عن الإسلام، ولكن الكثير من زوار الموقع أكدوا عدم نسبتها لعميد الأدب العربي "طه حسين".

2- الخلفيات الفكرية لنقد طه حسين:

تعددت الآراء واختلفت الرؤى في النظر إلى خلفيات النقد عند "طه حسين " ومنطلقات تفكيره، حتى يظن المتتبع لهذه الآراء أننا بإزاء شخصيات متعددة لا شخصية واحدة مما يجعلنا نشك حول ما إذا كان "طه حسين" واحدا أم متعددا ؟ أم أن تعدد زوايا النظر وتعدد القراءات في فكر هذا الأديب هو الذي رسم تلك الصورة المتعددة والمتباينة لفكر "طه حسين"، فهل كان هذا الرجل تنويريا مجددا؟ أم تراه كان بوقاً من أبواق المستشرقين وداعية لأفكاره م؟ وهل كان داعية إلى الفكر الحر أم أنه كان داعيا إلى سجون الآخر مفتتنا بالغرب مولعاً بطبائعه أم أن الأمر كله راجع إلى حياته، تلك الحياة المليئة بالأحداث والمتغيرات، حياة تبدأ من طفل ضرير لتنتهي إلى أعظم وزير، حياة قلقة صاحبتها كثرة وتنوع في التأليف، فلقد اشتغل بالأدب والفكر، وعمل بالصحافة، وشارك في السياسة، دع ى إلى الإنفتاح على الغرب كل الإنفتاح بدعوى النهضة والمسايرة، تزوج بفرنسية وسمى أولاده بأسماء غربية غير مبالٍ، أُتهم في دينه أم لم يتهم ؟ والذي يَهُمُّنا وراء الحفر في منطلقات التفكير عند " طه حسين " هو تلك الصورة التي رسمها "للمتنبي "، صورة يجمع أغلب الباحثين على أنها صورة مشوهة وباهتة لأعظم شاعر عرفته العرب، "قاطبة "فهو في رأي " طه حسين " متهم النسب [2] قرمطي، جبان متلون يبيع ماء المحيّا إلى غيرها من الصفات التي سنتناولها في غضون هذا البحث .

1- رابط القصيدة : arbathersbradcastivg

2- ينظر: طه حسين، مع المتنبي .

ومن أجل الوقوف على حقيقة خلفية هذا النقد حاولنا الارتكاز على ثلاثة تأثيرات رأيناها مهمة ومفسرة لما ذهب إليه " طه حسين " في رسم صورة " المتنبي " .

أ- التأثير النفسي:

اجتهدنا في هذا الجانب اجتهادا شخصيا ورأينا أنه من الضروري الرجوع إلى بعض الدوافع النفسية التي وجهت وساهمت في بناء النقد عند "طه حسين" فكما أشار "طه حسين" نفسه إلى طفولة "المتنبي"وصِباه واصفاً شعور ذلك الصبي الشاعر بالضّعة والضعف من ناحية أسرته وأهله الأقربين [1] ويرى بأن هذا الشعور هو المركب الأول لشخصية المتنبي ما جعل حياته يحيط بها الكثير من الغموض والكثير من الشذوذ، ن شير نحن أيضا إلى بعض الجوانب النفسية التي نرى أنها أثرت في توجيه الفكر النقدي عند " طه حسين " وأول ما نبدأ به ما جاء في نسب " طه حسين " عن مقالة كتبها "سعدي الهاشمي" « ومن المعلوم عن "طه حسين" أن أباه جاء إلى صعيد مصر – مديرية المنيا – من بلد غير معلوم من المغرب وكان يعمل وزّانا في شركة يهودية للسكر»[2].

هل كان "طه حسين" يعرف عن أصوله شيئا أم تراه هو الأخر كحال المتنبي لا يعرف عن نسبه شيئا، وهل يشعر "طه حسين" بالضعة والضعف نفسه الذي شعر به "المتنبي" الصبي؟ وهل سيؤثر هذا الشعور على شخصية "طه حسين" باعتباره المركب الأول؟

تبقى كل هذه الأسئلة بلا إجابات ممكنة ولعلها ستجد يوما من يخصها بالدرس والتأليف .

سمة نفسية ثانية نلمحها في شخصية " طه حسين " وهي سمة التفاخر والتعالم التي تبدأ معه منذ الصبى، هذه الصفة التي أبرزها أكثر من مرة وأقرها هو نفسه في كتابه " الأيام " ورواها عنه بعض تلاميذه ومن عاصروه ومما يرويه عن صباه أنه وبعد مقدم المفتش إلى القرية

1- ينظر : طه حسين، مع المتنبي .

2- طه حسين، في ميزان العلماء .

ذلك العالم المطربش الذي يجيد الفرنسية ويحفظ القرآن على نحو فتَن الصبي[1]، مما جعل الصبي يتفاخر على أترابه بأنه أصبح يعرف ما لا يعرفه سيده، فلقد قرأ تحفة الأطفال وعلّم المد، والغُن والإخفاء، والإدغام، ويذكر أن "طه حسين" بقي على هذه الصفة التي لازمته حتى بعد كتابة كتابه "مع المتنبي" فلقد كان يفاخر بأنه أول من قال بضعة نسب المتنبي.

و نود أن نشير هنا إلى مقالة كتبها الأستاذ "شكيب كاظم" تحت عنوان "دفاعا عن المتنبي"[2]، وهي مقالة بسط فيها ما جاء في كتاب "أسرار العداوة بين "طه حسين" و"المتنبي" للأديب "عبد الواحد العطار" [3]وتحت عنوان طه حسين المشاكس جاء ما نصه: «لقد عرفت على " طه حسين " مشاكساته وتقلب أرائه وأهوائه ولعل لعماه سبب في ذلك، إذ لم يسلم منه حتى أساتذته في الأزهر، أو في الجامعة المصرية، و لم يسلم من مشاكساته أستاذه الأكبر، شيخ جامع الأزهر، "سليم البشري"».

إذ ذهب "طه حسين " للاستمتاع إلى محاضرته، صحبة أستاذه الألماني "ليتمان " واغتنم " طه حسين " الفرصة ليدخل في لجاج ومخاصمة معه الأمر الذي جعل "سليم البشري " يقول له متضاحكا : ما شاء الله ..... ما شاء الله فتح الله عليك ... وأشقاك بتلاميذك كما أشقاك بأساتذتك ".

و يضيف العطار مندهشا من تلك الأحكام التي ساقها " طه حسين " في كتابه "مع المتنبي" ... «كيف يسوق تلك الأحكام كلها" وهو الدارس في الس وربون من غير أن يأخذ للأمر أهبته من مراجع ومصادر «فلقد ذكر أنه اصطحب معه ديوان المتنبي فقط » إذن سيفتقر الحديث إلى العلمية والتدقيق والتحقيق، وسيكون الحديث جزافا وعلى عواهنه غير ناسين مسألة مهمة "عدم محبته للشاعر المدروس »[4]. من خلال هذا الكلام نلحظ أن "طه حسين"

1- محمد أحمد فرح عطية، الفكر الإستشراقي، وزارة الأوقاف قطر، 2013 ص: 25.

2 شكيب كاظم، دفاعا عن المتنبي.

3 - كتاب أسرار العداوة بين " طه حسين " و " المتنبي " لم نقف"

4- طه حسين، المرجع نفسه.

يصرح بعدم حبه للمتنبي فكيف لشخص أن ينصف الذي يحبه وما سبب هذه العداوة التي بين "طه حسين" و"المتنبي" وهل تكون آفة العمى سبباً في ذلك؟ وهل قَصَد "المتنبي" "طه حسين" بقوله : أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي .. . أم تراه كان ينزعج لكل من يلمِّح بهذه الآفة ؟ قال المازني: «أنه سيجيء يوم يضع "طه" نفسه في ميزان الشك»[1].

ويذكر صاحب كتاب "طه حسين" والفكر الإستشراقي«ولقد كانت محنة فقد البصر تشعره بشيء من النقص ذلك الشعور الذي أكسبه نوعا من التحدي والإسرار ورغبة في لفت الأنظار»[2] هذه الآفة التي جاءت نتيجة ظروف الجهل والحرمان والفقر الذي عاشه "طه حسين" في بيئته الصعيدية الريفية، التي كان لها الأثر البعيد في حياته كلها.

طفولة أورثته حدة الطبع وتأكيد الذات ونفسية ناقدة تدفعه إلى معارضة أساتذته ومجادلتهم، وهذه النفسية الناقدة يرجعها الأستاذ " محمد عطية " [3] إلى أنها تكمن في شعوره بالإهمال نظرا لما امتحن به من فَقْد البصر تلك (الآفة) حسبها سماها "طه حسين" نفسه كانت تؤلمه وتؤذي نفسه .

سؤال أخر يدعونا إلى الريبة في شخصية " طه حسين " هل كان يبحث عن الإهتمام ولفت الإنتباه فحسب ؟ أم أنه كان يبحث عن الانتقام، يروي "فرج عطية" عن عودة "طه حسين " إلى قريته للمرة الأولى بعد انتسابه للأزهر أنه لم يجد من حفاوة الاستقبال وبشاشة الترحيب ما كان يجده أخوه الكبير،مبرزا بين أقرانه [4]، وقد غاظه هذا الإهمال فجعل يهاجم الناس في أفكارهم «فإذا تحدث فقيه الكتاب في شيء من العلم وثب عليه، واتهمه بالجهل، وإذا

1 - شكيب كاظم، دفاعا عن المتنبي.

2- محمد أحمد فرج عطية، طه حسين و الفكر الإستشراقي، ، ص:41.

3 - طه حسين " و الفكر الإستشراقي.

4 - المرجع نفسه، ص: 32.

قرأ والده بعض المأثورات هز" رأسه وقال عن قراءته أنها عبث لا غَناء فيها، وإن تحدث الناس عن علم القاضي بالمحكمة الشرعية قال "طه ": أنه أعلم من القاضي وأحق منه بالقضاء»[1].

يقرر "طه حسين" الصبي أنه انتقم، « وعلى كل حال فقد انتقم الصبي لنفسه وخرج من عزلته وشغل الناس بالحديث عنه والتفكير فيه »، ألا تنعكس هذه الصورة على حياة "طه حسين" المفكر؟ و إلى أي مدى نستطيع القول بأن عقدة العزلة وانشغال الناس بالحديث عنه كانت سبباً قويا في لفتاته الغير المعتادة وشطحاته التي لاقت نفورا كبيرا عند جموع العلماء والمفكرين .

ويضيف "محمد فرج عطية"[2] أن مسلك "طه حسين" إزاء أهله ومجتمعه وإزاء أساتذته ومعلميه الذين كان كثير المعارضة لهم والتّندّر بهم بين زملائه والتنقص لعلمهم مسلكا حيّر العلماء والكتّاب فهل كان باعثه إظهار نفسه وإبرازها فقط ؟ أمْ أنَّ هناك أمور اً لا نستطيع الكشف عنها؟ وهل كانت دعواه إلى الانفتاح على الغرب، وقطع الصلة بالتراث وفصل الدين عن السياسة، وحرية الأدب، وإحياء القوميات القديمة وغيرها من الأمور التي شدّد "طه حسين" في الدعوة إليها نتيجة لحتمية نفسية مردها "شعور بالنقص" ؟ وأراد أن يعوض هذا الشعور في التنكر للذات وجلدها ؟ وهل جاءت صورة "المتنبي" في كتاب ه ضحية لهذا الشعور وهذا الضعف؟ تبقى أسئلة بلا جواب حاسم ونظرة تحتاج إلى الكثير من الفحص والتحقيق.

ب- تأثير الإستشراق في نقد طه حسين:

لا يهمنا في هذا الج زء أن نتعرف على معاني الإستشراق اللّغوية والإصطلاحية، ولا تقصي بداياته التاريخية، ولا التطلّع إلى الأهداف التي نشأ من أجلها، كما لا يهمنا التَّعرف على مدارس الإستشراق وتفريعاتها، لأن موضوع الإستشراق ليس موضوع بحثنا هذا، من جهة ومن

1- المرجع نفسه، ص:32.

2- ينظر: طه حسين والفكر الاستشراقي.

جهة أخرى أنّ الدراسات الكثيرة في هذا الحقل تـغني جهد المُقِل وغير المتخصص أن يلج هذا الباب الواسع.

فلقد ظهرت أعمال كثيرة ومتنوعة عن الإستشراق والمستشرقين منها من يرى في الإستشراق حركة تبشيرية استعمارية، ومنها من سار في الإتجاه المعاكس لهذه النظرة فرأى في الإستشراق حركة علمية منهجية بعثت العلوم الشرقية من سباتها، وجمعت أص ولها وحققتها ونشرتها نشرا علميا متقنا ومن الدراسات العلمية التي تستحق القراءة والتقويم ما ذكره "يحيى وهيب الجبوري"[1]:"الإستشراق" لإدوارد السعيد، و"المستشرقون الناطقون بالإنجليزية" لطيباوي، "الإستشراق بين الموضوعية والافتعالية " لقاسم السم ارائي، و"الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري" لمحمود زقزوق و"فلسفة الإستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر " لأحمد سمايلوفيتش" وغيرها من الدراسات الأكاديمية.

أما الأمر الذي يهمنا في هذه المسألة فمرتبط بعلاقة ""طه حسين بالفكر الإستشراقي ومدى انعكاسها على الجهاز النقدي عند "طه حسين"، وهل أثرَّارتباط "طه حسين" "بالآخر" على مواقفه وآراءه النقدية، تلك الآراء التي نراها مدهشة ومقلقة في العصر الذي بث فيه، خصوصاً أننا نعلم بأنَّ هذه الآراء النقدية وجهت إلى قضايا مرتبطة أساسا بتراثنا العربي والإسلامي الذي يمثل في نظرنا تجليات "الأنا " والبعد الأعمق المحدد لهويتنا فهو الروح التي مازالت تسكننا وتتحرك في داخلنا، توجهنا وتتصرف فينا حينا، ونوجهها ونتصرف فيها أحيانا أو قل إن شئت هي ذلك القلق الذي وصفه المتنبي في قوله:

على قلق كأن الريح تحتي أوجهها جنوبا أو شمالاً

أسئلة كثيرة مقلقة تصادف الباحث الذي يتناول علاقة طه حسين بالمستشرقين، فهل كان الرجل مؤمناً منبهرا يقول ما يقولون ، ويثبت ما يزعمون؟ أم أنَّه أصغى إلى ما دعى إليه المستشرق "فرانسيسكو غابرييلي" ؟ الذي قال «بأنه يتمنى أن يجيء اليوم الذي يكثر فيه عدد

1- يحيى وهيب الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي، بين الشك والتوثيق، دار العرب الإسلامي، 1997، ط1، ص: 09.

الباحثين العرب والمسلمين الذين يقبلون بمنهجية البحث العلمي ويمارسونها مثل المستشرقين بل أفضل من المستشرقين » [1]، وهل أدرك طه حسين هذا القصور الذي تعانيه الأمة العربية في دراسة تراثها؟ و أراد أنْ يتحمل مسؤولية التراث، ودراسة الماضي بطريقة علمية بدلاً من المستشرقين؟، لأنَّه يرى بأن عليه أن يلتمس العلم عند هؤلاء، ولا بد من التماسه عندهم حتى يتاح لنا نحن أن ننهض على أقدامنا، ونطير بأجنحتنا ونسترد ما غلبنا عليه هؤلاء الناس من علومنا وآدابنا وتاريخنا [2].

يرى "آيت لعميم" [3] أن طه حسين قد حمل على عاتقه مهمة انجاز مشروع ضخم، يسعى إلى تنوير الذهنية العربية، وكان لزاماً عليه أَنْ يتجاوز كل التصورات المحافظة والموروثة، فبعد عودته من فرنسا، وبعد أن أحرز الفكر الليبرالي في مصر مكتسبات ضد الفكر المحافظ نادى بأَنَّ الحضارة الأوروبية قد اعتمدت في نهضتها على الحضارة الإغريقية ونسجل في البدء، أنّ طه حسين يستحضر النموذج الغربي كمنطلق للتطور والتقدم.

والأمر الذي يريبنا في هذه المسألة يتحدد في هذا الإيمان المطلق بالسلفية الغربية، فإذا كان التطور الغربي راجع إلى الارتداد إلى الخلف والنظر بنظرة السَّلف، فلماذا لم يؤمن بالرجعية والسلفية العربية، فالرجل دون شك قد عرف مع شيخه "المرصفي" مثلا السبيل إلى أمهات الكتب العربية القديمة التي لا تحسب في كتب الأزهر ولا كانت لطلابه –كما يزعم هو نفسه – من أمثال "ديوان الحماسة"، و"نهج البلاغة" بشرح الإمام، "والكامل للمبرد"، ومقامات الحريري والهمذاني والمعلقات وغيرها[4].

1 – علي بن ابراهيم حمد النملة، المستشرقون ونشر التراث، ، الرياض 2003، ص: 03.

2 – قولن بتريش فيشر، تر: سعيد حسن بحيري، دراسات في العربية، المجموعة من المستشرقين المعاصرين، مكتبةالآداب، القاهرة، المقدمة، ص: 05.

3 – المتنبي الروح القلقة، ص: 29.

4 – حضور الآخر في كتابات طه حسين، مجلة المختبر، في اللغة والأدب الجزائري جامعة بسكرة ص:233.

وإن رجعت أصول العلم عند الغرب الحديث إلى اليونان، و أنَّ هذا العلم قائم على مناهج العقل ونظام المعارف المجردة، فهل كان طه حسين يعتقد – وهو الملم بالتراث العربي- أن ثقافتنا العربية خلوٌ من أي ممارسة عقلية، ولماذا لم يحاول أن يطور إرهاصات العقل الإسلامي المبثوثة في كتب التراث وأصرّ على فكرة القَّص واللَّصق واستنساخ تجارب الآخر؟، أم أنَّ للسياسة آنذاك دورها؟

ينقل "آيت لعميم" عن كتاب الخطاب النقدي عند طه حسين ما نصه: « إنّ تأثير لطفي السَّيد على طه حسين هو ما ح دا به إلى أن يصوغ مشروعه وفق تصورات وأطروحات عقلانية، تمتح مفاهيمها من الفكر الليبرالي »[1].

وتعتبر بيئة "أصحاب الطرابيش" [2] وعلى رأسها لطفي السَّيد من أهم البيئات التي استقطبت طه حسين وأثرت في توجيه أفكاره فلقد انتهجت سبيل المدارس المدنية والعلوم الحديثة، وهي التي دفعت بطه حسين إلى تعلم الفرنسية فلقد كانت الجامعة تفضل الإلمام باللّغات الأجنبية، فانضم طه حسين إلى المدرسة التي أنشأها الحزب الوطني بسعي من جاويش[3] لإعداد بعثة أزهرية إلى أوروبا، بلغ عدد طلابها الأربعمائة أو يزيد، كان في جملتهم طه حسين.

لطفي السَّيد هذا الزعيم السياسي، والمتثقف المتعدد اللّغات رأوا فيه خصومه أنَّه استعمل طه حسين من أجل تحقيق أطماعه السياسية التي كانت تخدم الفكر الغربي مباشرة، يقول عنه نجيب البهيتي: «فتح لطفي السَّيد باب الجامعة القديمة أمام (هذه المستشرقة) فأتاح لها في ظل الشرعية العلمية فرصة العمل على تنفيذ برنامجها المخطط... وطه حسين تكفل بالدِّعاية لها وبالمناداة على ما عندها »[4]، وفي حديثه عن الجامعة المصرية القديمة فيقول بأنها ما كانت إلا

1- المتنبي، الروح القلقة، ص:28.

2 – أبو الحسن، الخطاب النقدي عند طه حسين، لم نقف عليه.

3 – حضور الأخر في خطابات طه حسين، ص: 233.

4 – أنور الجندي، محاكمة فكرية طه حسين، دار الاعتصام ص: 15.

مؤسسة ثقافية عامة يدب إليها من شاء دون شروط أو قيود ... فيّإلها طه حسين وهو الراسب بالجهل المركب في (عالمية العميان) بالأزهر في حماية لطفي السيد وحزبه.

لماذا لطفي السيد؟ وهل اقتنع طه حسين بحزب الأمة؟ يقول محمد فرج عطية : «لم يكن اتصال طه حسين بحزب الأمة عن قناعة ببرنامجه السياسي الذي كان يميل إلى مهادنة الإنجليز والتعاون معهم وفي المقابل الرفض القاطع لأي ارتباط مع الأتراك –الذين كانوا بمثابة الرمز للوحدة الإسلامية– إنما كان ارتباط بحزب الأمة ارتباطا شخصيا يتمثل في قناعة طه حسين وانبهاره بشخص احمد لطفي السيد» [1].

ويعتبر أحمد لطفي السَّيد أكبر عقل مثقف ثقافة غربية في مصر مقتنعاً بها أشد الإقتناع وأراد أن ينقل هذه الثقافة إلى مصر، ووجد طه حسين في لطفي السَّيد وفي التيار الفكري المتحرر الذي خلفه لطفي السيّد بيئة ملائمة لأفكاره تماما.

ونحن نرى أن "طه حسين" له من مهارة التقليد والتمثل ما يجعلنا نشك نحن أيضا في تجاربه الأدبية والحياتية فهل كانت تجاربه أصيلة نابعة من نفسه وتفكيره أم هي مجرد تقليد واستنساخ وتقليد للآخر.

إنّ في الدين وفي السياسة وفي الأدب لا يعدو أن يكون نسخة كربونية لزعيم حزب الأمة لطفي السيد، ويظهر ذلك جليا في ازدواجية الخطاب ال ذي كان يتهم به "طه حسين" يقول عنه "محمد غلاب" : «ألا ترى أنَّه من الظلم أن تكون للنّقاد عندنا في مصر عقيدتان مختلفتان و إيمانان متباينان واحد للكتابة في الصّحف والثاني للجلسات الخاصة، و أنَّ بواعث النقد عندنا ليست إلا أغراضا شخصية ومأرب نفسية ، ويرى بأن هذا التوزيع يجعل من "طه حسين" إنسانا مزدوج الشخصية مريضا بما يشبه الانفصام، يتعايش في شخصه عالمان منفصلان انفصال الماء عن الزيت» [2].

1 – طه حسين والفكر الإستشراقي.

2 – أنور الجندي، محاكمة فكر طه حسين، ص: 12.

زاد طه حسين افتتانا بالجامعة المصرية لأنَّه يدرس على يد نخبة من المستشرقين ملكو ا عليه أمره واستأثروا بهواه[1] منهم: "كارلو نالينو" المستشرق الإيطالي الكبير الذي كان يعد عالما بالجغرافيا والفلك عند العرب وكان يُدرِّس تاريخ الأدب والشعر الأموي و"سنتيلانا" الذي كان يُدرِّس تاريخ الفلسفة الإسلامية وتاريخ الترجمة ومما يرويه طه حسين عن نفسه من خلال كتابه "الأيام" «واتصل بأساتذته أولئك اتصالا متينا فكلهم عرفه، وكلهم قد أثره بالحب والرفق والعطف، وكلهم قد أدناه من نفسه، ودعاه أن يزوره في فندقه وأحب أن يقول له ويسمع منه».

هل كان حب طه حسين للمستشرقين سببا في حبه لزيارة بلدانهم، أم أنّ رحلته وعبوره البحر قاصداً بلاد الجن والملائكة، جاءت جزءا من المؤامرة التي تحاك ضد العرب والمسلمين؟.

يقول محمد نجيب البهيتي: «... أما في فرنسا فقد كان طه حسين ابن فرنسا البار الوفي يلقى بما يلقى به الأوفياء وما عاد طه حسين إلا ومعه كتاب كتبه هناك لا شك يلخص النتائج التي انتهى إليها الإستشراق إلى إخراجها في تكتيك العمل المتصل على تنفيذ خطة مرسومة» [2].

هذا الكلام جعلنا نفكر في كتاب "طه حسين" "مع المتنبي" الذي كتب في فرنسا ، فهل كان للمستشرقين اليد الطُّولى فيه ؟ وهل جاءت صورة المتنبي نابعة من قراءات "طه حسين" للتراث أم أنها صورة لما تخيله وأثبته المستشرقون؟

لقد خصص "سامي اليوسف"[3] نقدا للدراسات الإستشراقية التي تناولت شاعر العربية أبا الطيب المتنبي، ولقد وصف "اليوسف" هذه الدراسات بأنها جاءت تفتقر إلى الموضوعية والروح التحليلية، فلقد بدأ بالمستشرق "رايسك جوهان جاكوب" الذي ترجم بعض قصائد المتنبي عام 1765، ويقول عنه بأنّه أول من وجه الإهانة إلى المتنبي حيث نعته بالح ذلقة،

1 – طه حسين، والفكر الإستشراقي، لم نرجع إلى كتاب الأيام، واكتفينا بنقل هذا الكلام من كتاب، محاكمة فكر طه حسين.

2 – أنور الجندي، محاكمة فكر طه حسين، ص: 18.

3 – لم تقف على دراسة سامي اليوسف، اعتمدنا على نقل هذه الدراسة من كتاب المتنبي الروح القلقة، للدكتور ايت لعميم.

والسُّخف والهراء، والفوضى، ثم تناول "سلفستر دي ساسي" شيخ المستشرقين الفرنسيين الذي يتهم العرب بفساد الذوق، وارجع فساد الذوق عند هم إلى علة واحدة هي إدمانهم على قراءة المتنبي، أما المستشرق " اهلوارد" فـإنَّه لا يرى في المتنبي إلا مقلداً باهتا لإمرئ القيس، ويرى "كرايمر" أن شعر المتنبي يقع في مرتبة أدنى من شعر أبي فراس الحمداني، وقد نحى "غولدزهير"، نفس المنحى وتبعهم في ذلك "بروكلمان"و"كراتشوفسكي"، ناهيك عن دراسات "بلاشير" و" ماسنيون" اللذان شوها صورة المتنبي.

ومن خلال هذه الدراسة لاحظنا أن "طه حسين" قد جمع هذه الأحكام التي أطلقها هؤلاء المستشرقين وحاكها في صورة تتعارض تماما مع صورة أبي الطيب المتنبي التي حفظها ل نا شعره والتي حدثنا عنها المؤرخون والرواة فقد اجتهد في جمع العيوب والهنَّات ضاربا الصفح عن خلال الرجل ومكارمه، وبمحاولة بسيطة لتفكيك صورة المتنبي عند طه حسين نجدها مأخوذة بمهارة وبطريقة القص واللصق عن هؤلاء المستشرقين.[1]

بلاشيروماسنيون ← الشك في النسب وفكرة القرامطة

راسيك ← الحذلقة، السخف، الهراء، الفوضى

سلفستردي ساسي ← اتهام العرب بفساد الذوق

اهلوارد ← التقليد الباهت لامرئ القيس

كرايمر ← شعر المتنبي أدنى من شعر أبي فراس

وإذا حاولنا إعادة بناء هذه الأحكام مجتمعة في صورة واحدة دون شك ستكون هي نفسها الصورة التي رسمها "طه حسين" للمتنبي مع شيء من التحويل والإضافة.

وبالرجوع إلى رأي " يوسف اليوسف" نستنتج فعلا أن المستشرقين لم يستطيعوا أن يروا شعر المتنبي على نسق ينظمه من الداخل وانه ينطبق عليه قول "فيكتور هيجو" الذي أدرك حقيقة هامة "فحواها أن المتنبي لا يستطيع تقديره إلا من كان شرقيا بالولادة " فهل نستثني

1 – ينظر، المتنبي، الروح القلقة، ص: 196.

"طه حسين" من هذه الحقيقة أم ماذا؟ ، وهل يمكننا أن نسحب صفة الشرقية عن عميد الأدب العربي، أم أن هناك في الأمر سر آخر؟

جـــ- تأثير المنهج على فكر طه حسين :

شغل النقد الأدبي حيزا كبيرا في الدراسات القديمة والحديثة، فهو قانون الأدب وشرطي الأدباء، ولقد اتصف النقد القديم بأنه نقد علمي في جملته، يتصل بالجزئيات ولا ينفك عنها إلّا قليلا،[1] و لم تكن فكرة المنهج تؤرق هؤلاء النقاد، ومع ذلك الميل الكبير إلى البحث في الجزئيات، تظهر إشارات تحمل صفة العموم وشذرات تحيل إلى تأثير البيئة والعنصر والثقافة، وما تلك المقارنات والموازنات بين الشعراء وتلك الاختبارات الشعرية إلا مؤشرات على وجود ذلك النوع من التفكير الذي يحاول إرجاع العلات إلى معلولاتها ومع دلك تبقى تلك المحاولات مجرد ومضات خاطفة أعدمت الزناد الذي يقدحها، فلم تتحول إلى نظريات نقدية مكتملة المعالم وواضحة الملامح.

أما في العصر الحديث فلقد بلغت قضية المنهج أهمية بالغة حتى يتخيل إلينا أنّ دراسته هذه مناهج أصبحت غاية في ذاتها ويرجع هذا الاهتمام إلى ضرورات حضارية وتاريخية [2] الأمر الذي جعل الجدل يشتد حول مفهوم المنهج منذ بداية القرن العشرين بين "جورجي زيدان" و"مصطفى صادق الرافعي" و"طه حسين" أقطاب هذا الصراع [3] وذلك الجدل. ويميل "حسين الواد" إلى أنّ هؤلاء الرواد لم يتمثلوا مفهوم المنهج تمثلا ملائما وكافيا، ويرجع ذلك – في نظره إلى أنّ مفهوم المنهج آنذاك كان لا يزال في طور المخاض، وأنّ الرافعي وزيدان والزيات لم يستعملوا كلمة منهج "Mthéode" واكتفوا مكانها بكلمتي الطريقة والخطة واستثنى

1- شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف القاهرة، ط 9 ،ص: 31 .

2- محمد أديت لعميم، مرجع سابق، ص: 23.

3- حسين الواد، في تأريخ الأدب، مفاهيم ومناهج، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط 2، 1993، ص: 76 .

طه حسين فقط لأنَّه استعمل كلمة "منهج" صراحة في مؤلفاته، فقضية المنهج واحدة من أهم القضايا التي أرقت فكر طه حسين، فالهم المنهجي [1] يرتبط عنده بغاية تعليمية تربوية، والثورة المنهجية من شأنها أن تجدد العقل وتحرره، لذلك سعى جاهدا إلى محاولة تجريد الآداب من كل تقديس، وأن يدرس الأدب لذاته مثلما تفعل العلوم الأخرى «فالقاعدة الأساسية في هذا المنهج الديكارتي هي أن يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل، وأن يتقبل بحثه خالي الذهن مما قيل فيه خلواً تاما» [2]وأن ارتباط الأدب بقضايا خارج المجال الأدبي تقف سدا أمام مساءلته والشك فيه، وأنّ لا حاجة لنا لأن نعيد ما قاله القدماء .

إن مثل هذا التصور لمفهوم الأدب ووظيفته وانتهاج مثل هذا المنهج الديكارتي الذي لا يستأنس بالمعارف السابقة ولا بما قاله الأقدمون لحري بأنّ يوجه "طه حسين" وجهة مغايرة في قراءة المتنبي يحتم عليه أن ينزع عنه رداء القداس ة، فالمتنبي واحد من الناس تجري عليه الأمور والحتميات التي تجري على غيره فيمكن أن يكون علويا خالصا كما يمكن أن يكون لقيطا ضائع النسب، وأن شعر المتنبي كغيره من الشعر «أو دون ذلك و لو أني أطعت نفسي لأستصحبت شاعرا إسلاميا قديما عسيرا كالفرزدق أو ذي الرُّمة أو الطِّرماح ».

ومثل هذا التصور للأدب جعله يقرر بشأن الأدب والأدباء ما نصه « وما أظنني أعرف أدبا مقيدا في التحرج غاليا في الاحتياط كأدبنا العربي الحديث، الذي ينشئه أصحابه وهم يفكرون في الناس أكثر مما يفكرون في أنفسهم، حتى أطمعوا الناس فيهم، وأصبحوا عبيدا للجماعة، وخدما للقراء فلنتمرد على الجماعة »[3].

كان لسفر طه حسين إلى فرنسا، واطلاعه على حركات الفكر والأدب والنقد — عن كثب — دورها في بلورة منهجه النقدي وتعامله مع النصوص الأدبية فلقد ألمّ بمختلف المناهج

1- محمد آيت لعميم، مرجع سابق، ص: 46.

2 - المرجع نفسه، ص:40 و41.

3- طه حسين، مع المتنبي، مؤسسة هنداوي القاهرة، 2012 ،ص:10 و11 .

النقدية ولمس منها مواطن القوة ومواطن اللين، وتمثلها تمثلا — نراه — قد امتزج بشخصيته واستطاع أن يطبع تلك المناهج بطابع الحياة الثقافية العربية السائدة في عصره .

و حتى نتمكن من فك لغة "طه حسين"، وإدراك بعض الآليات والمفاهيم الإجرائية التي استعملها في دراسة المتنبي كان لزاما علينا أن نرجع إلى بسط بعض النظريات النقدية — التي نظن أن "طه حسين" استفاد منها في درسه وصحبته للمتنبي .

لا مجال للشك إذا ما قلنا بأن اسم "رينيه ديكارت" (1596 – 1650) ارتبط في أذهاننا باسم "طه حسين" أكثر من غيره، وأنّ مبدأ الشك الذي تبناه "طه حسين" ونافح عنه يعتبر أساسا ومركزاً لنظرية ديكارت، وتبقى إرادة الله سببا في ظهور "ديكارت" — هكذا يقول "طه حسين" مستهزئا ببعض علماء الأزهر – «و قد أراد الله أن يظهر اسم ديكارت وفلسفة منذ ثلاثة قرون وأن يطبع العصر الحديث كله بطابع ديكارت »[1] و لم يكن ديكارت أدبيا ولا فنانا ولا شاعرا بل كان عالما رياضيا طبيعي، لم يضع قاعدة للانتقاد الأدبي ولكن فلسفته تسربت للأدب . ومذهب "ديكارت" يقتضي التجرد من كل المعلومات السابقة والبناء من جديد «إن آلة الشك هي الفكر فالفكر إذن موجود والمفكر موجود، أنا أفكر إذن أنا موجود»[2].

إذن فلسفة "ديكارت" متسربة إلى الآداب، وليست عنصرا خالصاً منه، فهي تهتم بالأفكار دون الصناعة اللفظية فللفكر المنزلة الأولى والإتقان والإبداع هما في مثابة الموضوع «فلقد زج هذا المذهب بالآداب في مضايق الفلسفة وجعل مأرب الآداب البحث عن الحقائق دون البحث عن مظاهر الجمال في القول وعلى ذلك فلا يكون هناك فرق بين فنون الأدب

1– طه حسين، من بعيد، دار العلم للملايين، بيروت، ط 9 1982، ص: 290 .

2 – المرجع نفسه.

والفلسفة ولا بين الشاعر والفيلسوف » [1]، هكذا ينتقد " لطفي جمعة" ما ذهب إليه " طه حسين" في إتّباع منهج ديكارت.

لم يقتصر تأثر طه حسين بمنهج ديكارت، فلقد جاوزه إلى نقاد آخرين حاولوا أن يبنوا للآداب قوانين مثل قوانين العلوم التجريبية إيمانهم بأن الناقد ليس أديبا فحسب، بل هو أديب من جهة، وعالم من جهة أخرى، عالم يبحث في الآداب ويضع القوانين على النحو الذي يبحث فيه علماء الدراسات التجريبية .

ولقد تصدى لهذا الصنيع "سانت بيف"[2] (1804-1869) فدعا إلى دراسة الأدباء حسب أحوال طبيعتهم مبتدعا بخصائصهم الجسمية ومتعقبا لهم في حياتهم المادية والعقلية والخلقية وحياة أسرهم وكل من اتصلو ا بهم وأذواقهم وعاداتهم وآرائهم ...و رتب الأدباء والشعراء حسب اشتراكاتهم في الخصائص التي تميزهم عن غيرهم [3] ومن هنا أصبح النقد عند "سانت بيف" علما يمكن أن يطلق عليه اسم التاريخ الطبيعي للأدب.

و يمكننا أن نقول بأن تأثير "سانت بيف" على "طه حسين" يظهر في أعماله الأدبية لدرجة محاكاتهوتقليده في عناوين الكتب، فلقد كتب "سانت بيف"أحاديث الإثنين، وأحاديث الإثنين الجديدة ، درس الأدباء أديباً أديباً ، واضعا لكل أديب النمط الذي يميزه ، فيكتب "طه حسين" "حديث الأربعاء " سنة اتبع فيها خطوات "سانت بيف" وتتحدد معالم منهج هذا الأخير أيضا في كتاب "مع المتنبي" فلقد جاءت دراسة نامية[4]،صاحب فيها "طه حسين" المتنبي منذ أن ولد إلى أن قتل، فلقد زامله سائر مراحل حياته، فهي إذن ترجمة تاريخية تسعى إلى رسم صورة لحياة المتنبي .

---

[1] - لطفي جمعة، الشهاب الراصد، مطبعة المقتطف، مصر، ط 1 1926، ص: 13.

2- شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ، ط 9، ص: 31 .

[3] - المرجع نفسه، ص:31.

4- ربيعة محمد حيدر، حركة نقد الشعر في مصر مابين (1900 -1939) بيروت، 1985، ص: 237 .

ويعد " هيبولين تين" (1828 – 1893) من أبرز تلامذة "سانت بيف" فلقد آمن بآرائه أشد الإيمان و حولها إلى ضرب من الحتمية الجبرية على النحو الذي تتصف به القوانين الطبيعية، «فإذا كانت الطبيعة لا تعرف الخصائص و القوانين الفردية، وإنما قوانين تقوم على الحتمية الشديدة وتطبق على جميع الأفراد بدون استثناء»، فالقوانين العلمية الطبيعية تنكر الفردية الشخصية لأنها قوانين عامة تطبق في كل أمة وفي كل أدب . ويرى "تين" أنه علينا أن نرد الفرد إلى المؤثرات العامة فالفرد جزء من أمته فيه كل خصائصها وعاداتها[1].

ففكرة الجبر التاريخي و المثلث الشهير (الجنس ، البيئة، العصر) استلهمها طه حسين جيدا أو تمثلها غاية التمثل لذلك قرر "آيت لعميم" [2]أنّ "طه حسين" في دراسته للمتنبي قد قدم فرضا عاما عن العصر الذي نبت فيه الشاعر، ليخلص إلى الأحداث الكبرى التي تحكمت في حياته، وكان لها تأثير بالغ في تكوين شخصيته، فالتفكير عند طه حسين ظاهرة اجتماعية لا فردية، وإن الفرد لا يفكر ولا يقدر ولا يروي إلا من حيث هو عضو من أعضاء الجماعة التي يعيش فيها والتي سيستحضرها في نفسه استحضارا .

والملاحظ أن طه حسين اشتغل على مفهوم التطور والتغير، هذان المفهومان اللذان يعدان من المصطلحات الأساسية في التاريخ الأدبي إذ يرتبط مصطلح التغيير بتصوره للعوامل التي تنتج النص، وهذه العوامل ترجع إلى مفهومي الجبر التاريخي والجبر النفسي والمتتبع لكتاب "طه حسين" (مع المتنبي) يجد أثار الجبر التاريخي والنفسي [3]وتأثير البيئة والعصر والجنس عليه لا يحتاج ، فالتعاقب الزمني، وتأثير الجغرافيا، وعلاقة النسب الذي جعل منها "طه حسين"

1- شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف القاهرة، بدون تاريخ ط 9، ص: 38 .

2- محمد آيت لعميم، مرجع سابق، ص:77 .

3- طه حسين، فصول في الأدب والنقد، مطبعة هنداوي، القاهرة بدون تاريخ

عموداً لصورة المتنبي، وهذه العلاقة التي يصفها "طه حسين" بالشذوذ جعلت تصرفات شخصيته كلها شاذة وأجبره ضعف نسبه إلى تلك السلوكات الشاذة[1] .

و من جملة النظريات التي أخذ بها "طه حسين" في كتابه "مع المتنبي " وكان لها الحظ الأوفر هي نظرية التأثير الفني أو المنهج التأثري ومن أهم رواده "جول ليمتر " (1853-1914) الذي رفض كل التفسيرات العلمية للأدب، ورجع في أحكامه إلى الذوق وما يثيره النموذج الأدبي الذي ينتقده من مشاعر وأحاسيس في النفس ولقد طبق هذا المنهج على مؤلفات له سماها "تأثرات مسرحية" صور فيها أحاسيسه وانطباعاته إزاء النموذج الذي ينقده، ولقد استوقفنا عبارة قالها في التهجم على النقد العلمي «إنّ هذه القواعد التي يذكرونها ليست في الحقيقة إلا انطباعات وتأثرات فردية سابقة، تحجرت بمضي الزمن »فهو يرى أصحاب المذهب العلمي متأثرون رغم أنهم يدعون عكس ذلك.[2]

تبنى "طه حسين" هذه الفكرة وصرح بها في أكثر من مقال ودافع عنها في أكثر من مناسبة فنراه يعلق على مقال كتبه العقاد بعنوان "رجعة أبي العلاء" : «وأقل الناس علما بالتاريخ الأدبي وممارسته لصناعته يعرفون أن كثيرا من المؤرخين ربما خيل إليهم أنهم يصورون هذا الكتاب أو ذاك ولكنهم في حقيقة الأمر لا يصورون إلا أنفسهم ،يعكسون أنفسهم على رجال التاريخ، ويصفون أنفسهم حين يصفون رجال التاريخ»[3].

ويرى بعض الباحثين أنّ طه حسين جمع بين معالم المنهج التأثري الذاتي ومعالم المنهج التأثري الواقعي الذي يتسم بالموضوعية في تحديد الرؤية الفنية، فكان المنهج الناتج منهجا جديدا

1- ينظر: طه حسين، مع المتنبي.

2- شوقي ضيف، مرجع سابق، ص: 41 .

3- طه حسين، مرجع سابق، ص: 25.

هو المنهج التأثري الجمالي الذي يراعي فيه فنية الإبداع وجماليته داخل دائرة واسعة تشمل وجدان الأديب والواقع الاجتماعي[1].

ولقد أشار "طه حسين" إلى المنهج التأثري الذي اتخذه في دراسة المتنبي معربا عنه بقوله : «و إنما أريد أن ألاحظ أنّ هذا الكتاب إن صور شيئا، فهو خليق أن يصورني أنا في بعض لحظات الحياة، أثناء الصيف الماضي، أكثر مما يصور المتنبي » وإذن فقد يكون من الخير أن نقتصد، وأن لا نتشدد في هذه النظرية التي يحبها المحدثون ويشغفون بها وهي أن الشعر مرآة الأديب .إن نقد الناقد إنما يصور لحظات من حياته، قد شغل فيها بلحظات من حياة الشاعر أو الأديب الذي عني بدراسته.

إن تبني مثل هذا المنهج في قراءة النصوص وتفسير التاريخ الذي يراه البعض ذاكرة للأمة وشعورها الجماعي على هذا النحو وبهذه المناهج جعل خصوم يستشطون غضب "فطه حسين" في نظرهم «يقطع بأنه لا يحترم المبادئ ولا يقيم وزنا للقيم التي تعارف عليها البشر، وأن كل الذي يعنيه هو إثبات ذاته من خلال الخروج على المألوف وما تواضع عليه المجتمع ». وهو أيضا موالي لقوى عالمية كبرى تحارب المسلمين في قيمهم وتاريخهم [2]، ومن النقاد[3]من يرى أنّ طه حسين يشترك مع "النقاد الأمريكيين الجدد" في مسألة واحدة، التي تتمثل في التركيز على النص – وإن كان أكثر تغلغلا في حياة المؤلف – وعنده أنه لما كان قصد المؤلف من الصعب التثبت منه، فقد صار على الناقد أن لا يبذل جهدا في تحديده .

وأنه يرفض أن يسمى نقد طه حسين في كتابه "مع المتنبي" بأنَّه نقد انطباعي بحت، لأنه كان يمحص انطباعاته ويرفض بعضها ثم ينظمها في صورة محكمة، وأنّه يستخدم ألفاظ لا يمكن

1- حضور الأخر في كتابات طه حسين، مجلة المخبر، العدد التاسع 2013 ص: 234 .

2- أنور الجندي ، محاكمة طه حسين، ص: 12 و29 .

3- داستن كاول تر: عز الين إسماعيل، منهجية طه حسين في نقد أشعار المتنبي، نوافذ سبتمبر 2001 ، ص: 25 و26 .

فهمها إلا بالمعنى العام، وهي ألفاظ غالبا ما تنطوي على طاقة عاطفية وقيم استعمارية ففي وصفه لإحدى القصائد على سبيل المثال، نراه يشخصها بأنها تنطوي على أربعة خصائص :

1. فخامة الوزن
2. ضخامة القافية
3. جزالة اللفظ
4. دقة المعنى وارتفاعه

ويرى "داستن كاول" أن هذه الألفاظ تنطلق من مبدأ الذاتية والانطباعية ففي كل الأحوال لا نستطيع أن نعرف معرفة دقيقة إذا ما كان هذا الوزن فخما أم لا، وأي الأوزان يمتلك هذه الصفة في بحور الخليل ؟ وهذا التساؤل يصبح بالنسبة للقافية أيضا، وفي حالة هذه القصيدة على وجه الخصوص جاءت القافية "مه" وجاءت كلمات التقفية الأولى "طاسمة" و "ساجمة" "لائمه" ويتساءل الناقد حول إذا ما كانت هناك أي خاصية صوتية تجعل من هذا النسق قافية ضخمة ويطرح نفس التساؤل حول جزالة اللفظ ورقة المعنى، فطه حسين في نظره – ناقد يميل إلى فكرة التقويم «فالواقع أنه يجعل لهذه الأحكام التقويمية وقعا سلطويا، وذلك عندما يقول «أما أنا فلا أرى في هذا الكلام جمالا ولا حسنا».

وعن موضوعية "طه حسين" في منهجه النقدي يرى الأستاذ "محمد محمدي" [1] أنّ طه حسين تميز بتمثله لمجموعة من المناهج فنجد تأثره بـــ"سانت بيف" جول لوميتر "، "أناتول فرانس"، هذا الأخير الذي جعله يأخذ بنظرية التعبير الذاتي، ودفعه تأثره بـــ"بتين"و "برونتيار" و "لونسون" إلى الأخذ بنظرية التعبير الاجتماعي، كما تمسك طه حسين بمنهج الشك الديكارتي وموضوعية ابن خلدون فضلا عن تمثله لكثير من فلسفة أبي العلاء، هذا ما جعله يحافظ على قسط كبير من الموضوعية في دراساته النقدية.

[1] - حضور الأخر في كتابات طه حسين، مجلة المختبر، العدد التاسع 2013، ص: 234 .

ويرى أيضا بأنّ "طه حسين" قد جمع بين معالم المنهج التأثري الذاتي ومعالم المنهج التأثري الواقعي، وهذا راجع في نظره إلى تميز "طه حسين" بالموضوعية الفنية، فكان المنهج الناتج منهجا جديدا هو منهج التأثري الجمالي، فالإبداع عند "طه حسين" مزيج من العوامل الاجتماعية التي يفرزها المجتمع والمؤثرات الذاتية التي يكتسبها الأديب، فهو ينطلق في تحديده للإبداع الأدبي من أنه ظاهرة اجتماعية لا يمكن أن تكون إلا في الجماعة التي تسمع أو تقرأ الإبداع الأدبي «يقال أن التفكير ظاهرة اجتماعية لا فردية بمعنى أن الفرد لا يفكر ولا يقدر ولا يروي إلا من حيث هو عضو من أعضاء الجماعة التي يعيش فيه ..و إنما الشيء الذي لا يقبل الشَّك ولا يحتمل الجدال هو أنّ الإنتاج الأدبي ظاهرة اجتماعية »[1]. ومن هذه الرؤية للإبداع والفن تبلور مشروع طه حسين النقدي. و يظهر جليا في مسألة تمثيل الشاعر لشخصه وعصره، هذا المنطلق الذي كان وراء اختيار الشعراء والكتاب الذين كانوا موضع الدراسة عند طه حسين «فقد التمس العصر الأموي في شخص عمرو ابن ربيعة وتجسد له القرن الثاني أيام هارون الرشيد في شخص أبي نواس والقرن الثالث في الجاحظ، ويبدو أن اختياره للمتنبي لا يشذ عن هذه القاعدة، فالمتنبي يمثل القرن الرابع خير تمثيل «الأمر الذي فسره المازني تفسير مغايرا فهو يرى في هذا الاختيار أنّ طه حسين مولع بتعقب الزناة والفسّاق والفجرة وأنّ كلفة بأخبار المجان انعكست نتائجه عند تناوله للمتنبي»[2].

من الصعب جدا أن تقف على رأي واحد، وأن نصدر حكما واحدا جامعا على طبيعة المنهج الذي سلكه " طه حسين"، ومن الصعب أيضا أن نصف مدى تأثير هذا المنهج أو ذاك حينما كتب مؤلفه "مع المتنبي" وهذا يرجع -في نظرنا - إلى طبيعة الفكر النقدي الذي يتسم بالتعدد والاختلاف، فهو كما وصفه" جابر عصفور "[3]. «يلوذ بالديكارتية في طرائق التثبيت،

[1] - طه حسين، فضول في الأدب والنقد، مطبعة هنداوي، القاهرة – بدون تاريخ، ص: 06 .

[2] - محمد آيت لعميم، مرجع سابق، ص:43-44..

[3] - جابر عصفور، دراسات أدبية، المرايا المتجاورة، دراسة في نقد طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1993، ص: 7 .

مثلما يلوذ بالمكتسبات المنهجية في إجراءات البحث التاريخي ويتقبل بعض أفكار "تين" عن الدرس الأدبي بعد أن يمزجها بأفكار أستاذه في الجامعة "كارلو نالينو" ويتقبل بعض أفكار "سانت بيف" بعد أن يعقلها بأفكار أستاذه "جوستان لنون" ليسعى بهذه العقلانية إلى فهم الأعمال الأدبية بوصفها دوال على مدلولات تقع خارجها ".

هذه العقلانية التي يرى فيها جابر عصفور سر عبقرية "طه حسين" جعلته يجزم بأن فكره النقدي الذي يوحي بالتعدد. و يحيل في أكثر الأحيان إلى فوضى بنائية، فإنه ينطوي في الوقت نفسه على نوع من البناء الواحد والمتماسك وأنّ هذا الوحدة المتميزة يمكننا أن نكشف عنها.

و إن كان "طه حسين" قد تبنى أفكار مجموعة من النقاد، أو مجموعة من الأبنية المتباينة فنقده يتصف بصفة يمكن جعلها نقطة ارتكاز في فهم بنيته النقدية هذه الأخيرة التي حصرها "جابر عصفور" في الاختيار المقترن بالتوفيق، فعملية الاختيار عند طه حسين لا تتم بالمصادفة بل تخضع إلى أسس تحتية قارة توجه حركة الاختيار .

هذا الاختيار الموفق كما وصفه "جابر عصفور" "لا نرى فيه منهجا أو بنية نقدية اختص بها "طه حسين" في تعامله مع دراساته الأدبية، فنحن نميل إلى أن فكرة الاختيار وإن اقترن بالتوفيق – خاصية مشتركة بين كل النقاد ومسألة التوفيق والإخفاق مسألة نسبية ترجع إلى الذوق والانطباع" [1].

إن منهج "طه حسين" في تناوله للقضايا التراثية وإن كان الكثير من النقاد يرون فيه محاولة وسعي إلى تجديد النظر فإن فيه تهويلا وتعتيما وبيعا للأوهام فقط فالنظرة المغايرة لمسألة التراث لا يمكن أن يتجدد في ثقافة لم تعرف الأنسنة والتنوير و لم تعرف أي قطيعة معرفية مع ما

1- جابر عصفور، مرجع سابق، ص: 13 .

هو مورث، فإنه من غير ممكن أن ننظر نظرة جديدة وغير معيارية للتاريخ في ظل ثقافة تخلط التاريخ بالفقه.« فلقد اكتفى طه حسين باللمحات النقدية في سياق يقتضي الاستقصاء والمسح النقدي الشامل، وهذا ما سهل اهامه بالتبسيطية وعدم التعمق في البحوث، فلقد أطل على الحداثة الفكرية دون أن يمتلك أدواتها المعرفية وتاريخها المعرفي إلى مسلمات التراث التداولي »[1]. هكذا رأى "هادي أركون" إلى منهج " طه حسين".

3- السياق التاريخي لتأليف كتاب مع "المتنبي":

قبل الولوج إلى كتاب طه حسين "مع المتنبي" حاولنا أن نُطِلَّ إطلالة سريعة على بعض الخلفيات الثقافية والسياسية التي سَبَقت تأليف الكتاب والتي نعتقد أن لها سبب ا قريبا كان أو بعيدا في تحفيز "طه حسين" على كتابة مؤلفه وربما كانت الرغبة الملحة [2] للإجابة عن سر الاهتمام بالمتنبي، فالمتنبي «مازال حديث الناس المفصل منذ أكثر من عامين ولأني حاولت أن أستكشف السر في حب المحدثين له وإقبالهم عليه وإسرافهم في هذا الحب والإقبال كما أسرف القدماء في العناية به حُبًّا وبُغضاً وإقبالا وإعراضا»[3].

من المعلوم أنه منذ العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي كان "المُتَنبِّي" الشاعر المُفضَّل لدى الباحثين والمهتمين بالتاريخ الأدبي ، خاصة وأنَّ هذه المرحلة التي ألَّف فيها الكتاب اتسمت من الناحية السياسية ببروز الوعي القومي، وقد عَرَف العالم العربي في ذلك الوقت حركات تحررية واسعة شملت أغلب الأقطار العربية، وأنَّ العالم العربي كما يقول آيت لعميم: «دخل في مرحلة البحث عن الذات في مواجهة الأخر وقد كان هذا الوعي والحس القومي

1- هادي أركون ، طه حسين ونقد المسلمات التراثية، مجلة الحوار المتمدن، العدد 5020 بتاريخ 2015.12.21

2 - ينظر: محمد آيت لعميم، المتنبي، الروح القلقة و الترحال الأبدي، المطبعة و الوراقة الوطنية، مراكش، ط 1، 2010.

3- طه حسين، مع المتنبي مؤسسة هنداوي 2012 ص: 10.

العروبي من وراء اهتمام الدارسين العرب بالمتنبي إ ذ وجدوا فيه الصوت المعبر عن رغبتهم في التحرر»[1].

مرور ألف عام على مصرع المتنبي :

»لا نريد أن نتكلم هنا عن عظمة شعر المتربي ولا عبقريته الفنية، فلذلك أماكن أخرى هي به أجدر، وإنما نريد التنبيه على شيء لا محيد للأديب العربي من التنبه له، ففي شعبان عام (1354هـ) ستنتهي ألف سنة من وفاة أستاذ العربية على الإطلاق الشاعر الخالد أبي الطيب المتنبي، فهل ستمضي هذه الفرصة دون أن نحرك ساكنا في الاحتفال بهذه الذكرى؟»[2].

بهذه الصرخة المدوية افتتح الأستاذ "عبد الخالق الطريس" أول نشاط أدبي له في رحلته الصحفية الأولى، ليكون بذلك أول من دعا إلى الاحتفال بهذه الذكرى الألفية التي تبقى دون شك ذكرى مفخرة من مفاخر الأدب العربي .

ولقد أعاد الطريس دعوته مؤكدا في مدخل عرضه الذي ساهم به في الاحتفال الذي أقيم للذكرى في تطوان قائلا : »عندما دعوت للاحتفال بذكرى مرور ألف سنة على وفاة شاعر القوة والمُثل كان العالم الغربي من أقصاه إلى أقصاه يقيم احتفاله لمائة سنة انقضت بعد سقوط العلم الذي كتب "فاوست و"فرتر " من يد صاحبه «[3]وقال بأنّه عزَّ عليه أن يبقى العرب دون هؤلاء الآ ريين، فنادى الكتاب والشعراء و حملة الأقلام إلى الإلتفات إلى شاعر العروبة أبي الطيب وهذا رد للجميل، إذ ليس متيسرا لمثقف عظيم القد ر أو صغيره أن ينكر فضل أبي الطيب.

1- محمد آيت لعميم، نفس المرجع، ص :60 .

2 - الرابط : - مجلة العام الثقافي. www.alalam.com

3 - مجلة المغرب الجديد، لسان حال المثقفين، المغاربة، فبراير – مارس 1636 العددان التاسع والعاشر .

ولقد وجَدَت دعوة الأستاذ "عبد الخالق" صدى كبيرا بين أدباء العربية داخل المغرب وخارجه تمثل فيما نشر على المجلات والجرائد من أشعار وكتابات نثرية قبل موعد إقامة الذكرى فلقد كتب علال الفاسي قصيدة بعنوان " المتنبي بعد ألف عام ".

حتى إذا الألف انقضت	وطويناها جـزرا ومـدا
وملأناها ذكرا وتمجيدا	وإزراء وكـــيـــدا
ضمت لك الألف الجديدة	في جميع الأرض حشـدا
متسائلين عن الـــذي	في العالمين قد استجـــدا

إلى جانب قصيدة "تاج المتنبي" التي نالت إعجابا كبيرا وشهرة بين المثقفين المغاربة، ومن الكتابات النثرية نشرت مجلة "المغرب الجديد" بحثا لـ"جندي ناصرف" بعنوان"أبو الطيب المتنبي هل ادعى النبوة حقا ؟"

وعن الاحتفال بألفية المتنبي في مصر ذكرت مجلة "المغرب الجديد"ما نصه: - "و يسرنا أن نسجل هنا القرار الذي أقرته "رابطة الأدب العربي" بالقاهرة فقد اعتزمت إقامة"عيد ألفي" لأبي الطيب في خلال شهر رمضان المقبل (1354هـــ)(ديسمبر 1935)، حيث أن أبا الطيب مات مقتولا في رمضان 354 هـــ، وجعلت برنامج هذا العيد مشتملا على عدة أشياء في طليعتها إقامة مؤتمرا أدبيا عربيا عام[1]ويقول "عمر الدركولي" معلقا على ما جاء في مقدمة كتاب "ذكرى أبي الطيب " للدكتور عبدالوهاب عزام"، أنَّ كتاب عزام وما جاء بعده ثمرة من ثمرات دعوة " عبد الخالق الطريس" والفضل يرجع إلى جريدتي "السلام" و"المغرب الجديد" التطوانيتين علما أن المجلتين كانتا تصلان البلاد العربية بانتظام وتوزعان عن طريق الأمير "شكيب أرسلان" [2].

1- مجلة المغرب الجديدة لسان حال المثقفين المغاربة، فبراير – مارس 1936 العددان التاسع و العاشر .

2- مجلة العلم الثقافي www.alalam.com

ونعتقد أن الدعوة إلى الاحتفال كانت خطرت في أذهان أغلب المثقفين ففي تاريخ 15/ 11/ 1933م كتب المفكر "زكي نجيب محمود" ما نصه «قتل أبو الطيب في رمضان 354 للهجرة، وفي رمضان سنة 1354 أي بعد سنتين وشهرين يمر ألف عام على وفاة شاعرنا العظيم، إنَّ مرور عشرة قرون على وفاة أديب كبير لحدث وشأن في تاريخ الأدب وأني أناشيد الأدباء في البلدان العربية أن يفكروا في إقامة مهرجان عظيم تشارك فيه وفود تمثل الأقطار العربية»[1].

ويذكر "عبد الوهاب عزام" في مقدمة كتابه أنه اتفق مع زملائه أساتذة كلية الآداب بالجامعة المصرية أن يحتفلوا بمرور ألف عام على وفاة الشاعر الكبير أبي الطيب المتنبي، وبدا له أنْ يكتب كتاباً عن هذا الشاعر العظيم، ويذكر في ختام مقدمة الطبعة الأولى أنه بذل كل جهد، وأودع الكتاب ما يسوغ له أن يقدمه للقراء راجيا أن يجدوه أهلا لذكرى أبي الطيب «ويروه أجمع وأدق وأجدى مما كتب عن الشاعر منذ عاش إلى عامنا هذا عام الاحتفال بمضي ألف عام على وفاته»[2].

ويذكر في مقدمة الطبعة الثانية أن هذا الكتاب أُلِّف في بغداد، وجعله ذكرى لمرور ألف سنة على وفاة أبي الطيب، ولما تم طبعه بادر إلى حمل بعض نسخه إلى دمشق فشارك في المهرجان الكبير الذي اجتمع في دمشق وغيره من مدائن الشام احتفالا بهذه الذكرى .

أما "محمود شاكر"[3] فيذهب أبعد من ذلك، إذا يتهم "عبد الوهاب عزام" بالسرقة والسطو على مؤلف، يقول:«جاءتني رسالة من العراق بعد ظهور كتابي بثمانية أشهر (سبتمبر 1936) من رجل لم أكن أعرفه من قبل، وهو الكتبي المشهور "قاسم رجب" التي دلتني رسالته على أنه قرأ كتابي حرفا حرفا، فإنه ضمنه مقابلة بين ما جاء في كتابي صفحة صفحة،

1- مجلة الرسالة العدد، 21بتاريخ 15-11-1933.

2- عبد الوهاب عزام ، ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام، شركة نوابغ الفكر، ط الأولى، 1434 – 2013، ص:02 .

3- محمود شاكر، المتنبي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، مطبعة المدني، 1987 م، ص: 79 .

وبين ما جاء في كتاب آخر طبع في العراق سنة (1936) أرسله إلي بالبريد، كما قال ووصل الكتاب بعد أيام، وهو كتاب ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام وفي آخره أنه فرغ من تأليفه «لتسع بقين من شهر ربيع الأخر سنة 1300هـــ، العاشر من تموز سنة 1936 أي بعد كتابي بسبعة أشهر»ومما قاله عن "عزام" ما نصه« هكذا كانت تجري الأمور، ولا تزال تجري، على المثل الجاري من ذقنه وأفتل له يأخذ مني ويرد علي ! ويظنون أنه باب خفي من أبواب علم "السطو" فسبحان ربنا الأكرم، الذي علَّم بالقلم ، علَّم الإنسان ما لم يعلم[1]، ويروي "محمد هيكل" في مقال كتبه لمجلة الهلال أن عالم اللغة العربية هذا العام عُنِي بإقامة حفلات بمناسبة انقضاء ألف عام على وفاة "أبي الطيب أحمد بن حسين المتنبي "»[2]وأن أولى هذه الحفلات أقيمت بدار الجامعة الأمريكية ببيروت في اليوم الثاني من شهر يونيو 1935، بناءً على دعوة جمعية العروة الوثقى بالجامعة المذكورة، وتساءل "هيكل" حول ما إذا كانت هذه الحفلات التي تقام في الشام والعراق ومصر تقديرا للأثر الشعري الذي تركه المتنبي في الحياة، أم تقام تقليدا للحفلات التي أقيمت لمناسبة انقضاء ألف عام على شاعر الفرس الفردوسي ؟

ثم ينفي أن يكون الاحتفال مجرد تقليد للاحتفال بالفردوسي، لأنه أمر لا يصدقه الواقع – كما يزعم – فالتفكير في المتنبي والاحتفال بانقضاء ألف سنة على وفاته تفكير قديم يرجع إلى عدة أعوام والعظيم الذي صمدت عظمته للزمان ألف سنة تباعا جدير حقا بأن يذكر وأن تخلد ذكراه .

و إننا نميل إلى رأي " آيت لعميم" الذي يرى بأن "طه حسين " في كتابه [3] "مع المتنبي"ملزم كل الإلزام بأن يقيم حوارا مع كل الدراسات التي سبقته وأن يستفيد من ذلك التراكم الثقافي ويخص بالذكر ثلاثة كتب أساسية كتبت حول المتنبي ، أولها كتاب للمستشرق

1- محمود شاكر، نفس المرجع، ص: 98 .

2- محمد حسين هيكل، سر الاحتفال بالمتنبي، مجلة الهلال أغسطس 1935 .

3 - ينظر: محمد آيت لعميم، مرجع سابق، ص:61 .

"ريجيس بلاشير " الذي صدر سنة (1935) وهو عبارة عن أطروحة دكتوراه، يقول عنها " آيت لعميم" «غاية في الجودة وفي حذف المنهج تحت عنوان "المتنبي، دراسة في التاريخ الأدبي" جمع فيه ما جاء أشتاتا في تضاعيف المصرفات والمخطوطات من أسماء الذين اهتموا بأبي الطيب وشعره من القدماء والمحدثين، ووصف أعمالهم وأصدر فيها أحكاما صائبة»[1].

أما الكتاب الثاني، الذي يعتقد "آيت لعميم " أن طه حسين يقيم حوارا معه، ونحن نتفق معه إلى حد كبير فهو كتاب "المتنبي" للأستاذ محمد محمود شاكر، الذي انتهج فيه منهجا سماه منهج الذوق، يصفة "آيت لعميم بأنه غاية في الدقة والتوثيق وأنه توصل إلى مجموعة من النتائج، كإبطال القول بقرمطية المتنبي وإلحاق المتنبي بنسبه العلوي، وإبطال د عوة النبوة، يقول عن منهجه بأنه يستمد أصوله من التراث العربي الأصيل»[2].

بينما يرى "عبد العزيز الدسوقي " في كتابه "في عوالم المتنبي " أن "التذوق" ليس حكرا على أي قارئ وأنَّ مسألة الذوق مسألة نسبية، ويقول في باب الموازنة بين "محمود شاكر" و"طه حسين " أنا لا أريد أن أدخل طرفا في هذا النزاع القديم ...فأنا أكن كل إعزاز وتقدير للأستاذ "شاكر" وأحتفي به ..... وفي الوقت نفسه أختلف معه في رأيه الحاد حول طه حسين لأنه أحد معالم حياتنا الثقافية والفكرية»[3].

ويشك "آيت لعميم" في تلك الإحالات الموجودة في كتاب "طه حسين" "مع المتنبي" التي يحيل فيها إلى بلاشير ومحمود شاكر وعبد الوهاب عزام مع أنه يذكر في مقدمة الكتاب أنه طلب من صاحبه أن يأخذ نسخة من ديوان المتنبي ويترك كل ما حوله[4]. إلا أننا نخالف "آيت لعميم" في هذه المسألة فالكل يعلم أن "طه حسين" معتمد كل الاعتماد على ذاكراته القوية ويذكر "محمد مندور" تلميذه البكر – كما يسم ي نفسه – واصفا ما يميز "طه حسين" «فقد

1- لم نقف على هذا الكتاب .

2- ينظر: محمد آيت لعميم، المتنبي، الروح القلقة، المطبعة و الوراقة الوطنية، مراكش، ص:61. .

3- عبد العزيز الدسوقي، في عالم المتنبي، دار الشروق ط 2، 1988.

4- طه حسين، مع المتنبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012 ص: 09 .

كان من كبار الرواد في مجال التحرر الفكري والثقة بالنفس ... وكم كنت أشفق عليه وهو يحاضر مئات المستمعين في محاضراته العامة دون أن يستعين بنص مكتوب أو تخطيط تحريري مدون »[1].

و هذا "محمود شاكر" نفسه يذكر أن "طه حسين" في كتابه "مع المتنبي" لم يذكره اسما رغم أن "شاكر" يزعم أنه قد سطا على كتابه سطواً « لقد شكَّ بعض الناس في نسب المتنبي ، يسطِّر شاكر على كلمة شك ويعلق عليها قائلا أي على مواف قة "طه حسين" على رأي "شاكر" في الشك في نسب المتنبي أبلغ "طه حسين" أن موافقته أو مخالفته لا تساوي عندي قرشا ماسحا»[2].

ونقول بأن الإحالات في كتاب "طه حسين" لم تقتصر على" محمود شاكر" ولا على "بلاشير"، والمتصفح للكتاب يجد الإحالات متعددة ومتنوعة فهو يشير إلى كتاب "الأغاني" و"الكامل" و كتاب "نقد الشعر " و"الصبح المنبي " و"طبقات الشعراء " و"معجم الأدباء" و"كتاب الوساطة "، " يتيمة الدهر " وفيات الأعيان " وغيرها كثير ، ونحن نشك أن هذه الإحالات تكون من عمل الناشر لا غير[3].

1- محمد مندور، معارك أدبية، دار النهضة، مصر للطباعة و النشر، القاهرة، بدون تاريخ، ص:22 .

2- محمود شاكر، المتنبي، مرجع سابق، ص:111.

3- ينظر : طه حسين، مع المتنبي.

الفصل الثاني
المتنبي إنسانا و شاعرا في كتاب " مع المتنبي"

1- قراءة في مقدمة الكتاب
2- صورة المتنبي من خلال سيرته
3- شعرية المتنبي في نقد "طه حسين".
4- بعد الفراغ

بعد أن تعرفنا على طبيعة الخلفيات المؤسسة للفكر النقدي والمرجعيات المساهمة في التوجهات النقدية والأدبية لـــ"طه حسين"، سنحاول من خلال هذا المبحث أن نتتبع الحركة الأفقية للكتاب، وأن نرصد أهم القضايا التي أثارها "طه حسين".

ومن أجل تحقيق هذه الغاية إرتأينا أن نقسم عملنا إلى أربعة محاور، اعتقاداً منا أنها تمثل الأرضية الصلبة والأعمدة الأساسية في بناء هذا الكتاب، ولقد أدرجنا هذه المحاور على الترتيب الآتي:

- قراءة في مقدمة الكتاب.

- صورة المتنبي من خلال حياته.

- صورة المتنبي من خلال شعره.

- بعد الفراغ.

وتتجلى أهمية المقدمة في عرضها للمنهج الذي سلكه "طه حسين" في دراسة المتنبي، وإن نكن قد فصلنا بين سيرة المتنبي وشعره، هذا لتتضح لنا الصورة التي رسمها "طه حسين" لشاعر العرب بعيدا عن شعره، ثم نتعرف على آليات قراءة النصوص التي استعملها "طه حسين"، وسنجد في خاتمة الكتاب المعنونة بـــ"بعد الفراغ" إستطرادا لما جاء في مقدمة الكتاب حول المنهج النقدي الذي إتبعه في كتابه.

1- قراءة في مقدمة الكتاب:

إن أول ما يشد الانتباه ويسترعي اهتمام المتصفح لكتاب "طه حسين" هو ذلك العنوان "مع المتنبي"، معية تشعرنا أننا أمام قصة أو رواية أدبية، لا كتابا يؤرخ لحياة أشهر شاعر في تاريخ الأمة العربية، مُشيعا في الوقت نفسه نقدا عنيفا ومجموعة من الأفكار التي تستهدف طريقا جديدا في التأريخ الأدبي.

"معية" تبعد عن أذهاننا ثقل الدراسات النقدية، وصرامة القراءات المنهجية، "معية" تحيل — في أغلب الأحيان- إلى الرفقة والمصاحبة لا أكثر، فهل اكتفى "طه حسين" بمرافقة صاحبه متتبعا آثاره؟، أم أنه رافقه رفقة الصاحب الذي يقاسم الآلام والآمال؟. أم أن هذه الرفقة تؤكد على الممارسة الحقيقية لقراءة المتنبي؟

لا يصرح "طه حسين" بالمنهج الذي سلكه في دراسة المتنبي، فهو لا يذكر أي عبارة صريحة في مقدمة كتابه بأنه يعتمد على المنهج التاريخي أو غيره من المناهج بل اكتفى بتصوير ووصف حياته العملية في القاهرة والتزاماته الاجتماعية التي تركها في سبيل طلب الراحة والإستجمام في جبال الألب.

« يذكر "طه حسين" أنه صحب المتنبي طوال العام الجامعي، وسئم من درسه، والتحدث عنه، ومع ذلك فقد طلبت إلى صاحبي حين كان يجمع ما ينبغي أن نحمله من الكتب ألا ينسى ديوان المتنبي »[1]. ويؤكد على أنه يطلب صحبة ومرافقة لا غير، لذلك أصر على صاحبه أن يكتفي بحمل أسير طبعة من طبعات المتنبي.

« ومع أننا نلاحظ درجة من التماهي لدى "طه حسين" مع "المتنبي"، عند اختياره لكلمة رفيق فإنه يثير فينا كذلك شعورا مناقضا عندما يؤكد مسافة البعد العاطفي بينه وبين الشاعر، وعلى

1- طه حسين ، مع المتنبي، مرجع سابق، ص: 9.

وجه العموم فإنه يشعر بأن المتنبي لا يحرك العقل والقلب والأذن مثلما يصنع "مسلم بن الوليد وأبو نواس" »[1]، فالمتنبي ليس أحب الشعراء إليه، فلطالما فضل عليه الشعراء القدماء مثل "الفرزدق أو ذي الرمة والطرماح" بل يتعداه إلى بعض من تأخر عنه "كأبي العلاء".

لماذا اختار "طه حسين المتنبي" على الرغم من أن ذوقه الخاص لا يتوافق مع مزايا هذا الشاعر؟ هل جاء هذا الإهتمام نتيجة لاهتمام زملائه وتلاميذه، وتعاطف القراء المحدثين البالغ مع أشعاره، واستجابة قوية، سواء أكانت معه أو ضده كما يرى "راستن كاول"، أم أن كتابه كان موجَّها لغاية تعليمية مفادها تجاوز ذلك الثابت في القراءة الكلاسيكية « مؤسسا قراءته على نظرة عالمية شمولية، تطمح إلى إلغاء الفواصل والحدود التي يمكنها أن تغض من شعر الشاعر، ليفتح أمام القارئ العربي إمكانية إعادة قراءة النص العربي متحررا من هذه الاعتبارات الموروثة من القراءة العربية القديمة»[2].

هذه القراءة الجديدة التي يعبر عنها "طه حسين" بالخواطر المرسلة التي تثيرها نفسه، قراءة تصور طغيان المرء على نفسه ولعبه بوقته وعبثه بعقله وعصيانه لهواه وطاعته له، هي قراءة مغايرة لما تعوَّد عليه الأدباء وجمهور الأدب فالهدف من هذه القراءة الجديدة أن يخلِّص الأدب من قيوده التي يرفل فيها، قيود الاحتياط، والطاعة العمياء للجماعة، والقراء ثورة على تقاليد ذلك الموروث الذي طغى على الأديب والمتلقي في الوقت نفسه.

هذه الثورة الأدبية، تحمل في طياتها دعوة إلى الحرية والإنعتاق من براثن الموروث والجاهز والمتعارف عليه، فالرجل من أنصار الحرية في الأدب « ... وإنما أكتفي بأن أقول إني من أنصار

1- داستن كاول، تر عز الدين إسماعيل، مرجع سابق.

2- محمد آيت لعميم، المتنبي، مرجع سابق، ص :67.

الحرية في الأدب، هذه الحرية لا تؤمن بالقواعد الموضوعة والحدود المرسومة والقيود التي فرضها "أرسطو طاليس"» [1].

« حرية رفضها بعض الأدباء المعاصرين لأنها في نظرهم تبعد عن الدين وتخرج المجتمع عن أصالته ليس لك باسم التجديد أو الابتداع و الابتكار أو التفريق بين العلم والدين أن تسيء للعلم والدين معا، فهذا ميراث الأجداد، وعلى العلماء أن يدافعوا بالحق عن السلف الصالح وأن لا يتركوا ميراث الأجداد لعبث العابثين وأحقاد الشعوبيين»[2].

ويتفق أغلب الباحثين في كتابات "طه حسين" أن كتابه مع "المتنبي" لم يلق الخطوة نفسها التي نالها في كتابه في الشعر الجاهلي، و لم يلق الرواج نفسه، وإننا نعتقد أن السبب في ذلك، راجع إلى طبيعة الموضوع الذي تناوله "طه حسين"، ولا مزية للمنهج الذي إتبعه "مع المتنبي" قياسا بما جاء في كتاب "في الشعر الجاهلي" من تشكيك في المقدسات وتهكم صريح على بعض النصوص القرآنية، فكتابه "مع المتنبي" لا يشكل أي خطر كالذي شكله كتابه "في الشعر الجاهلي".

ويضيف "محمد لطفي" أن "طه حسين" « لم يترك نبيا أو صديقا أو عالما أو راوية أو شاعرا إلا ابتكر في عرضه ابتكارا ونال من شرفه وسمعته باسم الحرية في الأدب » [3].

ونحن نميل إلى أن مقدمة كتاب "مع المتنبي" وإن لم تتناول صراحة ما أراد "طه حسين" قوله، تعبر فعلا عن ثنائية الأدب والنقد، وكأنه يرمي إلى تماهي هاتين الحركتين فالأدب تعبير والنقد دراسة « ودون شك فإن حركتي الروح هاتين التعبير والدراسة يلتقيان في الشخص الواحد نفسه، ففي كل شاعر يقبع ناقد يساعده على أن يعنى ببناء قصيدته، وفي الوقت نفسه يوجد في

1 – طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق ، ص: 11.

2 – محمد لطفي جمعة، الشهاب الراصد، المقتطف، المقطم مصر، ط 1926، ص: 9.

3 – المرجع نفسه، مقدمة الكتاب، ص: ج.

أعماق كل ناقد شاعر يعلمه كيف يتعاطف مع ما يقرأ »[1]، وأنه لا علاقة للفن بالأخلاق، فالشاعر ليس إماما ولا مصلحا اجتماعيا. وربما يظهر من مقدمته أنه يتبنى نقدية الفن للفن التي إشتعلت المعارك حولها مع ظهور ديوان "أزهار الشر" "لبودلير 1821-1867" فالأدب لا يجسد غاية أخلاقية، ولا غاية اجتماعية، أو دينية فللأدب غاية واحدة غاية ذاتية، هي التعبير عن النفس وأحاسيسها ومشاعرها فغايته إذن الجمال ، وخلق إحساسات جميلة، وأخيلة جميلة أيضا، فهل حقق "طه حسين" هذه الغاية في كتابه "مع المتنبي" أم أنه حافظ على صرامة المنهج التاريخي الذي وافقه في أغلب دراساته النقدية؟.

يرى «"آيت لعميم" أن معالم المنهج التاريخي تبدو جلية في الدراسة التي قام بها "طه حسين" حول "المتنبي"، ذلك أنه تتبع حياة الشاعر منذ صباه إلى وفاته، وأن قضايا عديدة تداخلت ضمن هذه الدراسة لتنهض بإعادة تشكيل تاريخ "المتنبي" الشعري والحياتي »[2]. ما يجعلنا نتساءل عن طبيعة الأدوات والمعايير التي استعملها "طه حسين" في رسم صورة "المتنبي".

2- صورة المتنبي من خلال سيرته:

اقترنت صورة "المتنبي" في المخيال الجماعي العربي بالفحولة الشعرية، فهو الذي نظر الأعمى إلى أدبه وشعره، وهو الذي ينام ملء جفونه عن شوارد العربية وغريبها، وهو الفارس المغوار والفتى الشجاع فالخيل والبيداء والسيف والرمح وكل الأمور والأشياء التي ترمز إلى القوة تعرفه، وهو النرجسي الذي يحتقر ما خلق الله وما لم يخلق، وهو العظيم الذي تصغر في عينيه العظائم، الحكيم والفيلسوف، الرحالة الذي لا يقر له قرار، صاحب الملوك، وقاهرهم، كل هذه الصور مجتمعة وغيرها من المزايا والخصال ظلت قرونا طويلة لصيقة بسيرة "المتنبي" وشخصيته، إلى أن جاء كتاب "طه حسين" "مع المتنبي" محاولا هدم هذا الجبل الشامخ، مشككا

1 – أنريك أندرسون أمبرت تر : الطاهر احمد مكي، مناهج النقد الأدبي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1991،ص:03.

2 – محمد آيت لعميم، المتنبي، الروح القلقة والترحال الأبدي، مرجع سابق، ص: 62.

في عبقريته وفي عظمته ومن أجل فهم صورة "المتنبي" الجديدة التي رسمها له "طه حسين" محاولا إقناعها بأنها هي الصورة الحقيقية لهذا الشاعر الفذ، كان علينا لزاما أن نقف على المفاهيم التي توسلها "طه حسين" من أجل القيام بهذه العملية التأريخية الجديدة ولعل أول القضايا المعتمدة لدى "طه حسين" تتعلق أساسا في محاولة كسر ما تعوده الناس في تصورهم لشخصية "المتنبي" التي تشكلت من خلال المرويات والأخبار المتداولة حول حياته، فالمعيار الأول الذي اكتفى به "طه حسين" كأساس في تأريخه الأدبي هو النص.

2-1 النص وثيقة تاريخية:

«قد تعوَّد الناس أن يؤمنوا بأن "المتنبي" رجل عربي خالص النسب ينتهي من قبل أبيه إلى جُعفى، ومن قبل أمه إلى همدان، وهما حيان من أحياء اليمن، فيما يقول المؤرخون والنّسابون، إن النزعة العلمية تفرض على "طه حسين" أن يخلي ذهنه من كل ما ترسب من معلومات سابقة حول موضوع بحثه وعليه أن يتخذ من أداة الشك مِعولا لهدم هذه التراكمات المعرفية، فللرواة وللنسابين أن يقولوا ما يشاؤون قوله حول نسب "المتنبي"، فكل الاحتمالات ممكنة وجائزة، ولكن الشيء الذي لا شك فيه هو أن ديوانه لا يثبت هذا ولا يؤكده، ولعله ينفيه نفيا، هو إلى الصراحة أدنى منه إلى الإشارة والتلميح»[1].

بهذا الكلام يكون "طه حسين" قد حدد منهجه الذي سيتبعه في التأريخ لسيرة "المتنبي"، فالنص وحده هو المعيار الأساس، وانطلاقا من المفهوم الوضعي الذي يعتبر النص وثيقة، سيعيد "طه حسين " كتابة سيرة "المتنبي" فالنص كما يعبر "أحمد أوحسن" يستطيع وحده أن يبني تاريخا

1- ينظر: طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق، ص 12.

صحيحا، وألا يقبل التأويلات وأن يلغي [1] كل أخبار الرواة والمؤرخين التي لا تتوافق مع النص الثابت الصحيح.

يحاول "طه حسين" أن يقف وجها لوجه أمام النص الشعري وأن يستقرأه بكل موضوعية، وأن يسائله بكل حرية عن نسب "المتنبي" وبكل جرأة يفتح النار على "المتنبي" متسائلا حول ما إذا كان "المتنبي" يعرف أباه فعلا؟ ولماذا لم يمدح هذا الوالد إن وجد وكان معروفا لديه؟ ولماذا لم يفتخر به؟ و لم يرثه و لم يظهر الحزن على وفاته؟ إذن فشعر "المتنبي" لا يقول ولا يخبرنا عن هذا النسب الكريم، بل على العكس من ذلك فهو ينتسب إلى بديل آخر يراه أكثر شرف من نسبه إلى أبيه.

فخرا لعضبٍ أروح مُشتمله وسمهري أروح معتقله.

ويتعجب أيما تعجب لهؤلاء الباحثين المعاصرين الذين بالغوا في نسب "المتنبي" على بعد المسافة الزمنية بينه وبينهم، ومن دون شك نرى أن"طه حسين" يحيل من حيث يعلم إلى كتاب "المتنبي" للأستاذ "محمود محمد شاكر"، فهذا الأخير يذكر في أكثر من مقال بأنه أول من دعى إلى علوية "المتنبي"، ويعتبر عمود صورة المتنبي عنده قائم على هذا التصور، وأن البحث عن شخصية "المتنبي" من خلال تراجمه وأخباره وما كتب عنه يبدي صورة عن حياة غامضة، مضطربة، متناقضة لا استواء فيها، ويعسر فهمها على وجه صحيح، أما قراءة شعره جملة واحدة بمنهجه الذي أسماه منهج التذوق، فلقد رأى صورة أخرى لرجل آخر، حركة وجدانه فيها واضحة كل الوضوح، يقول "محمود شاكر" عن كتابه ما نصه « أما الفقرة الأولى من "عمود الصورة" والتي تتضمن القول بأن أبا الطيب "علوي" النسب، والفقرة الثانية التي تتضمن القول بإبطال دعوى النبوة وأن "المتنبي" لقب لا غير، فهما متداخلتان والقول بأن "المتنبي"

1 – أحمد أوحسن، الخطاب النقدي عند طه حسين، نقلا عن كتاب المتنبي، الروح القلقة والترحال الأبدي، محمد آيت لعميم، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط2010، ص 63.

علوي النسب قول لم يسبقني إليه أحد من القدماء ولا المحدثين، ولا جاء به خبر يدل عليه، أو يعين على افتراض هذا الفرض من قريب أو بعيد، فكيف جاء إذن، وكيف صار جزءا من "عمود الصورة" لا بل هو الصورة كلها، فإذا فقد بطلت فقار "عمود الصورة" جميعا بطلانا كاملا؟ »[1].

"المتنبي" عند "طه حسين" لا يعرف أباه، ولا يعرف أمه أيضا، إذ لم يرد ذكرها في الديوان أيضا، وحتى عروبة "المتنبي" – وإن كان شاعر العربية- فيها مداخل للشك فمن يصدق فكرة أن العربي الصريح أو العربي الصليبة هو الذي يُعرف له نسب صحيح إلى قبيلة من قبائل العرب في الشمال أو في الجنوب إلا إذا فهمنا من لفظ عربي معنى أوسع وأعمق وأصدق مما كان يفهمه النسابون في العصور الأولى، وأظن أن "طه حسين" يميل إلى الفكرة التي تقول بأن العربية لسان وليست عرقا.

ولاحظ "آيت لعميم" أن "طه حسين" قد أثار هذه القضية غير أنه لم يشف المسألة درسا وبحثا وإنما خلص إلى نتائج ظنية، معتمدا على أسلوبه الذي يتسم بالمراوغة والضبابية، وأنه قد استغرق في الحديث عن مسألة النسب أربعة فصول من كتابه ليصل إلى نتيجة مفادها أن مولد "المتنبي" كان شاذا، وبأن "المتنبي" أدرك هذا الشذوذ وتأثر به في سيرته كلها، فهو يرميه بالسفاح، أما نظرة "طه حسين" إلى العروبة فيربطها بالمفهوم الليبيرالي للقومية التي لا تنهض على أساس اللغة والدين والجنس، وإنما تقوم على المنافع الإقتصادية.[2]

1- محمود محمد شاكر، المتنبي، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، مرجع سابق، ص: 51.

2-محمد آيت لعميم، المتنبي، الروح القلقة والترحال الأبدي، مرجع سابق، ص: 63-64.

استمرت قضية نسب "المتنبي" إلى بعد وفاة "طه حسين"، ولعل من أهم الدراسات في هذا السياق هو كتاب "المتنبي يسترد أباه" للدكتور "عبد الغني الملاح" الذي طرح فرضية عن نسب "المتنبي" مفادها أن هذا الشاعر العملاق هو ابن الإمام "محمد المهدي" [1] وأن زواج الإمام من أم "المتنبي" قد تم في الكوفة وأن هذا الزواج قد أدى إلى نتيجة سلبية لأن الحركة الإمامية فشلت سياسيا ومات الإمام من غير أن يحقق لشيعته قلب السلطة العباسية فضاعت أنشطته في غياهب الزمن ومتاهاته [2].

ولقد أنتهج "عبد الغني الملاح" نفس الطريقة التي ذهب إليها "طه حسين" والتي تمثلت في رفض الرواية وما جاء به الإخباريون حيث رأى أن معظم القدماء لم يعيروا أهمية كتمان "المتنبي" لاسم أبيه وأمه، وأنهم اكتفوا بسرد تلك المسلمات التاريخية معتبرين مظاهر تلك الأحداث مبررا لوجودها أو حدوثها استنادا إلى الرواية المبالغ فيها حبا للشخص أو تأييد للحادثة أو كرها للشخص أو معارضة للحادثة [3].

ويعتمد "الملاح" في هذه الدراسة على منهج علم النفس الذي يراه أجدى وأنفع للمؤرخ الحديث، وللإجابة عن سر كتمان الإنسان اسم أبيه في عصر يكون فيه لاسم الأب وذكر النسب شأن يرتفع فيه الإنسان أو ينخفض فلقد قرر "الملاح" ثلاثة حالات [4]:

1- إما أن يكون ذلك الأب أو ذلك النسب من التفاهة المخجلة أو الضعة الغير مشرفة بالنسبة لمفاهيم العصر- مما يجعل الإبن يتحاشى ذكر إسم أبيه، وهذا تعزيز لوجوده الذاتي.

2- إما أن يكون التحدث عنه خطر على الإبن أو على الأب أو على كليهما، وهذا خشية من السلطان أو خطرا من قبل أهل الزمان أو من خصوم مترصدين للأب أو للإبن أو لهما معا.

1- عبد الغني الملاح، المتنبي يسترد أباه، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980، ص: 7.

2-المرجع نفسه، ص:11.

3-المرجع نفسه، ص:25.

4-المرجع نفسه، ص:26.

3- وإما أن يكون ذلك الأب صاحب قضية كبيرة أصبح التستر عليها وعلى صاحبها واجبا تحتمه أهميتها، كما أصبح إبعاد صاحبها عن الأضواء أمر تستوجبه القضية من خصوم القضية ذاتها حتى لا يقع بيد الخصوم في عصر تعصف به التناقضات.

ويميل صاحب كتاب "المتنبي يسترد أباه" [1]إلى هذا الغرض الأخير باحثا عن الحجج والبراهين القاطعة داخل نصوص " أبي الطيب"، لأن ديوان "المتنبي" هو المصدر النزيه الوحيد الذي يفسر لنا دوافع الإنفعالات التي عاشها "المتنبي"، وأن الأزمات التي عاشت في نفسه وهو يقبض على اسم وعلى سر كما يقبض المؤمن على جمرة من نار، وأن تلك المنطلقات التي انطلق منها الشاعر في تحديه للآخرين، وفي غروره الذاتي والتي تظهر في كبريائه الشخصي، وتتجلى في هجائه للملوك، كلها مؤشرات ودلائل تثبت أن "المتنبي" لم يكن ابنا لرجل تافه ولا ابنا لرجل هارب من العدالة ومن جميل ما استدل به "الملاح" من شعر "أبي الطيب" قوله في صباه:

شمس إذا الشمس لاقته على فرس ... تردد النور فيها من تردده

إن يقبح الحسن إلاّ عند طلعتـــــه ... فالعبد يقبح إلا عنـــد سيده

قالت عن الرفد: طب نفسا فقلت لها ... لا يصدر الحــر إلا بعد مورده

لم أعرف الخير إلاّ مذ عرفت فتــى ... لم يولــد الجود إلاّ عند مولده

نفس تصغر نفس الدهر من كثـــب ... لها نهى كهله في سن أمرده

1- عبد الغني الملاح، المتنبي يسترد أباه، مرجع سابق، ص: 26-27.

2-2 طفولة المتنبي وصباه:

الطفولة هي نقطة البداية بالنسبة لبحث "طه حسين"، فهي مسؤولة في نظره عن تكوين شخصيتها المستقبلية، وأن شعوره بالضعة أكسبه عقدة نفسية لازمته حتى وفاته، وأن شعور "المتنبي" الصبي بهذه الضعة أو بهذا الضعف من ناحية أسرته وأهله الأدنين قد كان العنصر الأول الذي أثر في شخصية "المتنبي"...رأى نفسه شاذا لأمر ليس له فيه يد، وليس له عليه سلطان، ففكر تفكير الشاذ وعاش عيشة الشاذ.

إن الرجوع إلى الطفولة وإلى مسألة الشعور في حد ذاتها تجعلنا نتساءل حول ما إذا كان "طه حسين" يحاول الإستعانة بالمنهج النفسي الذي يركز على طفولة الإنسان ويجعل منها محددا لشخصيته، أم أنه حاول تطبيق نظرية الجبر التاريخي، وأسقطها على الجانب النفسي من طفولة "المتنبي" وكيف لـــ "طه حسين" أن يتتبع سيرة "المتنبي" من خلال شعره في مرحلة الطفولة، علما بأن شعر تلك الفترة قليل من ناحية وغير مؤرخ من ناحية أخرى، وإذ يقر "طه حسين" بأن هناك عناصر أخرى ساهمت في تكوين شخصيته والتي لم يستطع "طه حسين" أن يفهمها وأن يحللها فإن "آيت لعميم" يرجع عجز "طه حسين" هذا إلى الطريقة التي تعامل بها مع النص الشعري باعتباره وثيقة تاريخية، وأنه كان يسلك طريقة الإنتقاء التي تساعده على رسم شخصية "المتنبي"، وأنه لم يتعامل مع قصائد الشاعر باعتبارها مجالا للتخييل والإبداع، فراح يستغلها إستغلال المؤرخ الذي يبحث عن الوثيقة أكثر مما يبحث عما تحويه هذه الوثيقة [1]، هذه الطفولة الشاذة في عيون "طه حسين"، نجد ما يخالفها في كتاب "المتنبي" عند "محمود شاكر"، "فالمتنبي" الصبي مزهو بنفسه متفوق على أقرانه يختلف إلى الكتاب الذي يختلف إليه

1 – محمد آيت لعميم، المتنبي الروح القلقة والترحال الأبدي، ص:68.

أولاد أشراف الكوفة «فعندئذ بلغت حد القطع بأن "أبا الطيب" علوي النسب فرضا يشبه الحقيقة!! والفضل في ذلك كله لخبر "الأصفهاني" الذي ذكر فيه أولاد أشراف الكوفة [1].

يرى "جابر عصفور" أن الفكر النقدي عند "طه حسين" يعتمد على مفهومي الحوار والتجاوز وبمدى قدرتنا على فهم فكر "طه حسين" النقدي تتحدد قدرتنا على الحوار المتكافئ معه وقدرتنا على تجاوزه في آن واحد، وبالحوار والتجاوز نظل مخلصين لأقوم تقاليد صاحب هذا الفكر.

ونخلص من هذا القول إلى أن "طه حسين" قد أقام حوارا متكافأ مع ما جاء به "محمود شاكر" حول علوية "المتنبي" ونسبه الشريف، متجاوزا هذا القول إلى ضده تماما ومن نفس البداية المحددة لشخصيته والتي تمثلت في طفولة "المتنبي" يبدأ "طه حسين" من نفس النقطة ونفس البداية ليثبت بذلك عكس ما قدمه "محمود شاكر" في كتابه "المتنبي".

إن منطق التأريخ الأدبي يفرض على "طه حسين" أن ينتقل للحديث على تأثير البيئة في تكوين شخصية "المتنبي"، مستفيدا مما جاء في مثلث "هيبوليت تين" في التأريخ الأدبي الذي يقوم على تفاعل العناصر الثلاثة (البيئة، العنصر، الجنس)، فتحدث عن البيئة الكبرى التي تمثلت آنذاك في البيئة العراقية خلال القرن الثالث والرابع هجري، واصفا ما وصلت إليه الأمور السياسية والإقتصادية من تخلف وتدهور ويرى "آيت لعميم" أن تركيز "طه حسين" على الجانب الإقتصادي مرتبط بمسألة القومية التي تنبني على الركائز الإقتصادية، وأن ذلك الفساد السياسي والإقتصادي كان سببا مباشرا في حدوث تلك الثورات الثلاث (البابكية، ثورة الزنج، القرامطة)، فهي ثورات تسعى بالأساس إلى تحسين وضعها الإقتصادي، « بحيث تريد توزيع الثروة بين الناس، وبتحقيق شيء من العدل والمساواة بين الأفراد والجماعات »[2]، هذا التفسير

1 – محمد محمود شاكر، المتنبي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، مرجع سابق، ص:54.

2 – محمد آيت لعميم، المتنبي، الروح القلقة والترحال الأبدي، مرجع سابق، ص: 69.

الماركسي للتاريخ يعززه بشواهد واهية الحجة والبرهان لقوله: «ومن هنا يوجد الأغنياء الذين لا تحصى ثروتهم، والفقراء الذين لا يتصور فقرهم »[1]، وهذه الحالة نجدها تتكرر عبر عصور التاريخ ومع جميع أجناس البشر، حتى بالنسبة للقبائل التي لا تحتكم إلى قوانين مدنية أو دينية، وإن كان "آيت لعميم" يعتقد أن "طه حسين" يقرأ الماضي بهموم الحاضر، فإننا نرى أن تأثير المنهج التاريخي، وخصوصا نظرية الجبر التاريخي تدفعه إلى إعطاء الأحكام جزافا وتعميمها على الظاهرة المدروسة، وأن هذه الأحكام غير مبررة بالشكل الكافي فقوله في هذا العصر الذي نحن بإزائه عظمت الشخصية الفردية حتى انتهت من القوة التي «لم تبلغه في التاريخ الإسلامي، وضعفت قوة الجماعة حتى كادت لا تكون شيئا يذكر، ونشأ عن ذلك أن قويت الأثرة، وتحكمت في الأفراد، وتسلطت على سيرتهم وتفكيرهم، وانمحى الإيثار أو كاد يمحى، وضعف تأثير العواطف الطبيعية التي تعتمد عليها الحياة الإجتماعية المستقرة »[2]، هذا الوصف وهذه الأحكام التي أطلقها جملة واحدة، تدخل في نفوسنا وتشعرنا بأننا لسنا إزاء عصر ضعيف وتدني فقط بل أمام عصر كله شر، لا خير فيه، وأنه لا سبيل إلى الخير فيه فالفضل منقطع، والصلاح معطل، والأمر الذي يأبى على العقل أن يصدقه هو غياب مكارم الأخلاق التي نفاها عن ذلك العصر بجرة قلم، فهل أحيرته نظرية الجبر التاريخي إلى سياق كل ذلك الحديث المطول عن العصر وتقلباته ليصل إلى "المتنبي"؟، وبين أثر العصر فيه وأن صاحبه ما هو إلا ثمرة لهذا العصر فقط كما يعتقد "آيت لعميم"؟، فلقد « ولد "المتنبي" في بيئة كان الدم يصبغها من حين إلى حين...وإنما كان يصبغها بصبغ آخر ليس أقل نكرا من سفك الدماء هو النهب والسلب، واستباحة الأعراض وانتهاك الحرمات، والإستخفاف بقوانين الخلق والدين، "فطه حسين" يرى

1 – طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق، ص:26.

2 – طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق، ص:26.

أن مولد "أبي الطيب" كان أثرا من آثار هذا الفساد العظيم؟ ! أم أنه سلك سبيل المستشرف "لويس ماسنيون" ؟»[1].

على نفس المنهج لاحظنا أن "لويس ماسنيون" يقرر أنه في القرن الرابع الهجري تطورت الحياة العقلية واتسعت لتشمل « إعلان الخلافة الفاطمية في المهدية والذي ينتهي بانتشار دائرة المعارف التي وضعها إخوان الصفاء بهدوء وفي صمت، يمكن جدا أن نطلق عليه "القرن الإسماعيلي" في تاريخ الإسلام ».

ولاحظنا أن "لويس ماسنيون" لم يرمي "المتنبي بالسفاح"، لكنه أشار إلى عدم تحدث "أبي الطيب" عن ذويه لكنه يقرر من ناحية أخرى أنه ينتسب إلى القبائل العربية اليمانية « وإذا كان "المتنبي" لأسباب معينة لم يتحدث إلا في الندرة عن ذويه، فإنه كان يفتخر بأنه يماني »[2]، وأن "المتنبي" ولد في بيئة شيعية في الكوفة وأن شخصيته تشكلت في تلك المدينة وفي الصحراء، في محيط قرمطي تحديدا « وأن هذا القرمطي القديم برغم فشله كثائر بدوي، لم يستسلم تماما قط، أو يتأقلم كلية مع المذهب الشيعي المحافظ الذي كان يعتنقه الأمراء وحماة الأدب الحمدانيون في الشام، أما رأيه في الإبداع فهو لا يقر بالفردانية "فاللوزميات" ورسالة الغفران لا يصح النظر إليها بوصفها سمة فردية، بل بوصفها شاهدا على تفتح بذور الشك المنهجي، والتهكم التمردي اللذين كانت تتضمنهما التعاليم الدعائية السرية للجمعيات الفكرية الإسماعيلية في مثل هذه التربية النفسية المواتية ».

من دون شك نلحظ تأثر "طه حسين" بالمستشرق "ماسينيون" في مسألة القرمطية فهو يقرر ما نصه هو أن رحلة "المتنبي" إلى البادية قد نفعته من الناحيتين جميعا، فقد .... ونما عقله وفصح لسانه، وتعلم أصول القرامطة، وعرف مذاهبهم النظرية والعملية معا، وقوله مراوغا محاولا

1 – محمد آيت لعميم، المتنبي، الروح القلقة والترحال الأبدي،مرجع سابق، ص: 69.

2 – لويس ماسينيون، تر وتع: ودراسة ابراهيم عوض ، المتنبي بإزاء القرن الإسماعيلي، منتدى سور الأزبكية، ط1988، ص:09.

إيهامنا بأن فكرة قرمطية "المتنبي" وليدة فكره ونابعة من شعوره تظهر في «فإني أجد في نفسي شعورا قويا جدا، بأن "المتنبي" قد نشأ نشأة شيعية غالية، لم تلبث أن استحالت إلى قرمطية خالصة »[1].

ويظهر ولع "ماسنيون" في إظهار النزعة الباطنية الإسماعيلية من خلال تفسير بعض المصطلحات وتأويلها لصالح الحقل اللغوي والمصطلحي الإسماعيليين، وعلى هذا فعندما يصرح "المتنبي" بأن لا ينبغي أن توضع الشمس وهي مؤنثة في مرتبة أدنى من الهلال وهو مذكر فإنه يسترجع الخلاف القديم بين شيعة الكوفة حول أفضلية الميم (التي ترمز إلى محمد وهو الشمس) أو العين (التي ترمز إلى علي وهو القمر) »[2] مستندا في هذا التفسير على علم الفلك الشيعي الذي يجعل الشمس رمزا لمحمد (ص) ويجعل من القمر رمزا لعلي (ض) وفاطمة (ض) أما الفرقدين فهما رمزا للحسن والحسين (ض).

ويفسر قول "المتنبي" أيا خدد الله ورد الخدود تفسيرا غريبا حيث يذهب إلى أن الإستهلال عبارة عن دعاء فهو يدعوا على تلك الخدود الجميلة بأن يحفرها الله وتصبح مثل الأخاديد وأن قوله هذا يذكره باسم من أسماء الله غير مألوف، إذ لا يوجد إلا في الخطبة الطنجية المعروفة لدى غلاة الشيعة وهو مخدد الأخدود، وأن ذلك الاتجاه القتالي العنيف عند "المتنبي" يقترن دائما بلفظ الفتوة، وأن كلمة فتوة تحمل نكهة شيعية غالية في التشيع، إذ يرى أن مدلول كلمة فتى في القرن الثاني الهجري تعني المتآمر الشيعي، الذي حمل روحه على كفه بنبل وجسارة.

وينفي بعض الباحثين المعاصرين فكرة أن يكون "المتنبي" علويا أو قرمطيا، وأن السؤال عن عقيدة "المتنبي" لم يطرح إلا في عصرنا الحالي، وأن مثل هذه الادعاءات مخالفة للتحقيق العلمي، فهي مبنية على منطلق الشك وفرض الشبهات التي يرونها أو هي من خيوط العنكبوت،

1 – لويس ماسينيون، تر وتع: ودراسة ابراهيم عوض ، مرجع سابق، ص:11-12-14.

2 – طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق، ص:37.

فالاستدلال بالشعر سواء كان عن طريق المنهج التذوقي أو غيره من المناهج لا يصح ولا يثبت أمام الحقائق التاريخية التي تؤكد على أن شيعة الكوفة في القرن الرابع كانوا زيدية مالكية. وأن مثل هذه الأسئلة جعلت رافضة هذا العصر يهتبلون هذا الرأي، ويزعمون أن "المتنبي" علوي إمامي على طريقتهم.

ويتبنى الأستاذ"منذر الخفاجي" فكرة تشيع المتنبي ويسوق لها الأدلة الكثيرة والمتنوعة « وعن بواكير نشأته العلمية ينقل لنا "محمد بن جعفر النجار" المتوفي سنة (402هـ) في تاريخ الكوفة وهو أقرب المؤرخين إلى عصر "المتنبي": إن المتنبي التحق بمدرسة أشراف الكوفة وتعلم الدروس العلوية شعرا ولغة وعربا فإن صح هذا القول فإننا نرى بأن "محمود شاكر" قد سبق إلى هذا القول وأنه لم يطلع على كتاب "تاريخ الكوفة" واعتمد فقط على خبر "الأصفهاني".

ويضيف "الخفاجي" أن نشأة الشاعر بالمدارس العلوية أمر مفروغ منه كما جاء على لسان معاصريه "ابن النجار وأبو يحي العلوي" كما اتفقت كل الحقائق والمصادر التاريخية على مساندة هذا القول، فالكوفة كانت وعلى مدى قرون طويلة مهدا للتشيع ومعقلا لشيعة علي وأولاده عليهم السلام »[1].

هذا الاختلاف بين الباحثين والدارسين لشخصية "المتنبي" وعقيدته بوجه خاص يرجعه "آيت لعميم" إلى اختلاف زوايا النظر بين هؤلاء الباحثين والدارسين، وإلى غموض المرجعيات المعتمدة في تحقيق هذه المسألة، وأن مثل هذه الدراسات لم تكن موجودة عند القدماء، وإنما وجدت فقط عند الدارسين المحدثين الذين ولعوا بالحديث عن الأصول الفكرية والذهنية عند الكتاب والشعراء، ويرى أيضا أن هؤلاء الدارسين المحدثين جعلوا من النص الشعري وثيقة للعبور إلى شخصية الشاعر وتفاصيل عصره، وهذا الاتجاه — في نظره — لا يخدم الشعر، لأنه

1 – منذر الخفاجي، أثر التشييع في شعر المتنبي،
http://www.al-hodohlin.com/np 27.9.2011.

يفرغه من جمال التخييل والإبداع، ويضيف بأن القصيدة الشعرية لا يمكنها أن تستوعب كل الأحداث التي تجري في هذا العصر أو ذاك، لأن الشاعر لا يؤرخ لعصره، وإنما يلتقط أهم الأحداث ويصوغها صياغة فنية[1].

ولأن كتابات "طه حسين" تؤكد – غير مرة- على أن المجتمع هو العلة النهائية التي تتحكم في الممارسة الإبداعية للأفراد – على حد تعبير " جابر عصفور"- وأن العمل الأدبي لا يتشكل من فراغ بل ينشأ عن حاجة فردية واجتماعية، ويصور وضعا من الأوضاع الفردية والاجتماعية، فإننا نلحظ تتبع "طه حسين" "للمتنبي" أينما ارتحل ونزوله معه حيثما نزل، مقسما حياته إلى أطوار تقسيما عمريا وإقليميا، وهذا وإن كان هدف "طه حسين" رصدُ مؤثرات البيئة وأحوالها السياسية والاجتماعية على شعر المتنبي وفنه، فإنّ هدفنا هذا المبحث ينحصر في محاولة البحث عن صورة المتنبي الشخصية، من خلال جمع ما فرقه "طه حسين" من صورة للمتنبي في ثنايا كتابه(مع المتنبي)، وهذا من أجل إعادة بناءها وتركيبها في صورة واحدة، حتى تتجلى لنا واضحة كما رآها "طه حسين"، مرجئين البحث عن شعره وفنه إلى المبحث اللاحق.

هذا وقد لاحظنا أنّ "طه حسين" بدأ كتابه بطفولة المتنبي وشغله نسبه وعروبته حتى سود صفحات كثيرة، ليصل إلى أنّ طفولة المتنبي كانت شاذة ، يتخللها شعور بالضعف تجاه أهله الأدنين، ويلمح بأنّ الولد ولد سفاح، وأنّه تبنى مذهب القرامطة، هذه القرمطية التي يجعلها "عمود صورة" لمتنبيه مصاحبقله طوال مسيرة حياته.

لذلك سنحاول – بعون الله تعالى- أن نسير على خطا منهج "طه حسين"، وأن نتبع الخط الذي رسمه في كتابه" مع المتنبي"، وأن نتوقف عند المحطات الكبرى، والمعالم الأساسية التي حددت شخصية المتنبي.

1 – محمد آيت لعميم، المتنبي، الروح القلقة والترحال الأبدي، مرجع سابق، ص: 75-76.

2-3 صِبى المتنبي في العراق:

يتناول "طه حسين" في هذا الفصل نشأة المتنبي و ثقافته الأولى وكعادته يحاول أن يجعل للنّص وحده السلطة الكاملة في تأريخه للمتنبي، رامياً خبر الرواة والإخباريين عرض الحائط، فيشكك أولا في مدرسة العلويين التي دفع إليها " المتنبي الصبي" ويرى بأنّ هذه المدرسة ليست على النحو الذي جاء به الرواة، وأنّ المحدثين بالغو ا في فهم خبر هذه المدرسة، «فهم يظنون أنّ هذه المدرسة العلوية كانت مدرسة أرستقراطية ممتازة »[1]، أما "طه حسين" فيميل إلى أن هذه المدرسة ما هي إلا كُتاب لتعليم أصول الشيعة، فلفظ العلويين مرادف عنده للفظ الشيعة، وأنّ هذه الكتاتيب كانت لعامة الناس وأوساطهم، فالمتنبي عنده ليس من أبناء عل ية القوم ولا من أشرافهم فهو كغيره من أبناء العامة يختلف إلى أحد الكتاتيب الخاصة بهم حيث تلقى أصول الدين وفروعه على مذهب الشيعة العلويين وسمع فيها الشعر، وتعلم كغيره شيئا من علوم اللغة والأدب، أما الخصلة التي يراها "طه حسين" علامة فارقة في ثقافته فهي تأثره بآراء غلاة الشيعة.

إنَّ "طه حسين" يحاول التقليل من شان ثقافة "المتنبي" ويحاول هدم ما تناوله المحدثون خاصة حول عظمة ومكانة الكوفة العلمية، فـــ "عزام" يرى أنّ القرن الربع كان من أزهى العصور الإسلامية وأن للكوفة مكانة مرموقة في سماء العلم والأدب «ولسنا في حاجة إلى الإبانة عن مكانة الكوفة والبصرة في تاريخ العلوم العربية والدينية، وأنّ هاتين المدينتين كانتا مهد العلوم، ولبثنا زهاء ثلاثة قرون مثابة للعلم والأدب»[2].

ومن أجل تحقيق فرض القرمطية اعتمد طه حسين على آلية تفكيك النص الشعري، وقراءته قراءة جزئية حتى تتوافق مع وجهة نظره، فهو يلوي عنق النص من أجل الوصول إلى أفكار مسبقة ثم يسرع في إطلاق أحكام جزافية، فالمتنبي- في نظره- منحرف دينيا، حلولي،

1- طه حسن، مع المتنبي، مرجع سابق، ص:.

2- ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام، الدكتور عبد الوهاب عزام، شركة نرابغ الفكر،ط1، 2013، ص:19.

منصرف إلى أراء القرامطة، حتى رحلته إلى بغداد فإنها لم تكن من أجل تحصيل العلم بل كانت هروبا وخوفا من السلطان «لم يستطع المتنبي وأمثاله أن يقيموا في الكوفة إشفاقا من السلطان ومن تتبعه للذين أعانوا القرامطة من قريب أو بعيد»[1].

ويري "طه حسين" أنَّ "المتنبي" لم يكتف باعتناق مذهب القرامطة فقط بل تعداه ليصبح رأساً من رؤوسها وداعية من دعا تها، وأنَّ رحلته إلى الشام وإلى القسم الشمالي من سوريا بالضبط تدخل في إطار مهمة رسمية تتمثل في الدعوة إلى مذهبه.

ولتعميق وترسيخ فكرة القرامطة التي يجعلها " طه حسين" عمود صورة "للمتنبي" فإنَّه يفرض فرضا نراه أكثر غرابة، فالمتنبي النرجسي المؤمن بنفسه إلى درجة أن نصفها بدرجة عبادة الذات ، يتحول إلى بطل قومي فهو "تشي غيفارا" زمانه، البطل الاشتراكي الذي أنكر مظاهر الترف وألوان النعيم، وزاد سخطه على النظام الاجتماعي وحثه على توزيع الثروة بين النَّاس «أقبل الفتى إلى بغداد قرمطيا منهزما، حا نقاً على النظام الاجتماعي والسياسي، وخرج من بغداد إلى الشام، وأضاف حنقا إلى حنق، وسخطا إلى سخط، وازداد حظه من التمرد على السلطان والنظام ... يريد أن تتغير الظروف من حوله لمصلحة الناس جميعا»[2].

تحت عنوان فرعي "رأس ضخم" يرد" مارون عبود" اتهامات "طه حسين" للمتنبي، ويتساءل حول ما إذا كان فعلا الشّعر ميداناً للتراجم؟ وأنّ حياة البشر لا تخلو من شذوذ، "فطه حسين" نفسه ذكر أمه مئات المرات في كتابه"الأيام" ومع ذلك لم يسأله أحد عن اسم أمه ولا اسم أبيه، و لم يطالبه أحد بذكر اسم جده البغيض لديه ويرى " مارون عبود" أنّ المتنبي لم يترك الكوفة لضعة نسبه، بل رآه صبياً نجيباً طمَّاحاً، هاجر كغيره من الشعراء، وأنّ هجرته «فكهجرة "طه حسين" نفسه من الريف إلى العاصمة، أما نكباته فسببتها له نفسه الوثابة، وعند طه من

1- طه حسن، مع المتنبي، مرجع سابق، ص :41.

2- طه حسن، مع المتنبي، مرجع سابق، ص: 46-47

ذلك كل الخبر، فلم اذا يلتمس هذه الأسباب؟ ! فليدرس المتنبي على ضوئها فلندع "تين" مستريحا في قبره »[1]، ويرى أيضا بأن "طه حسين" خذله المنهج الذي اتبعه لذلك صدرت أحكامه ضئيلة القيمة وأنّه اتكأ فقط على لغته وعلى قدرته الكبيرة في تضليل القراء عن طريق تعابيره المراوغة التي يركب بعضها بعض كالجراد، وأنّه لولا تلك اللغة لما نظر إلى كتابه "مع المتنبي".

إذن هذه بعض صور المتنبي وهو في السابعة عشر من عمره كما رآها "طه حسين"، قرمطي ثائر، واشتراكي حانق، ومع هذا وذاك فهو شاب يتنكر ل ضعة في نسبه لكل رمز من رموز الضّعف ويتهن أي رمز من رموز القوة كنوع من التعويض عن ذلك الشعور بالنقص.

2-4 إلى الشام:

في صحبة متنبيه إلى الشام اعترضت طريق "طه حسين" مسألة مهمة تتعلق أساسا بمنهجه التاريخي، فالقصائد التي قالها المتنبي بين خروجه من بغداد ودخوله السجن منثورة في القسم الأول من ديوانه « على نحو يُظهر أنّه قصد به إلى كثير من التعمية والت ضليل » وأنّ قصائد الصِّبا وإلى أن حلّ بالشام لم تؤرخ، وللخروج من حيرة توقيت القصائد التي يعتقد أنها مقدمة من الديوان وقد كان إنشاؤها متأخر اً فقد اعتمد في ضبطها وتوقيتها على طريقتين « سمَّى الأول بالطريقة النفسية، حيث أرَّخ هذه القصائد من خلال طبيعة الحياة العقلية والشعورية التي كان يحياها الشاعر...أنَّ القصائد التي تضم بعض آرائه القرمطية قد قبلت في هذا الطور »[2] ويخبرنا "طه حسين" أنَّه لا يميل كثير اً إلى هذا الاعتماد، فهو يفضل طريقة ثانية تعتمد على الجغرافية «وأنت إذا قرأت القسم الأول من ديوان المتنبي بعد خروجه من العراق، رأيته ينقسم

1- هارون عبود، مرجع سابق، ص: 141.

2- محمد آيت لعميم، المتنبي الروح القلقة والترحال الأبدي،مرجع سابق، ص: 88.

إلى ثلاثة أقسام جغرافية- إن صح التعبير »[1]، فهو بهذا يعتمد على معيار البيئة وفاء لمنهجه المتبع.

المشكلة نفسها اعترضت " عزَّام" وهو يؤرخ لمتنبيه، مما دفعه إلى ترك الاعتماد على ترتيب الديون إلى أن يجد من الأدلة التاريخية ما يكفي للثقة بترتيب قصائد الديوان «وكدت أعتقد كما اعتقد غيري أن القسم الأول من ديوان المتنبي مرتب على التاريخ حتى عرفت بعد بحث طويل متعب أنّ القصيدتين اللّتين م د ح بهما "مساور ابن محمد الرومي " نظمتا سنة (329هـ)، يعرف ذلك من ولاية هذا الأمير على حلب في هذه السنة»[2].

ولقد طرح " عبد الوهاب عزَّا م" أسئلة جوهرية تتعلق بترتيب الديوان وهل حوى الديوان كل شعر المتنبي؟ أما بخصوص المقطوعات وبعض الأشعار التي حفظت عند الناس و لم يحفظها لنا الديوان فيرى"عبد الوهاب عزَّام" «أنّ الذي أسقط المتنبي من شعره قطعاً لم يعن بها الشاعر لسخف معناها أو لأسباب أخرى....إنما حذف المتنبي أبياتا ارتجلها ثم لم يحرص على أن تنسب إليه، أو قصائد ذكر فيها حوادث يكرهها كقصيدة السجن التي حذفها ثم أثبتها »[3]، وأنَّ محبي شعر المتنبي ولكلفهم به وبفنه التقطوا كثيرا مما أسقط وجمعوه وألحقوه ببعض نسخ الديوان.

وذهب" آيت لعميم" إلى القول بأنّ هذا الترتيب التاريخي للديوان كان من الأسباب القوية التي حفزت "طه حسين" إلى اختيار المتنبي كموضوع لدراسته التاريخية، وتساءل حول ما كان بإمكان "طه حسين" أن يقوم على منهجه لو لم يجد أمامه قصائد المتنبي مرتبة ترتيباً

1- مع المتنبي، طه حسين، مرجع سابق، ص:50.

2- عبد الوهاب عزام، ذكري أبي الطيب، بعد ألف عام، مرجع سابق، ص: 29.

3- المرجع نفسه، ص:26.

تاريخياً، عند شارح الديوان" الواحدي" وعند من سبقوه إلى المتنبي كمحمود شاكر وبلاشير وعبد الوهاب عزام[1].

يبقي المتنبي على قرمطيته في الشام ولكن على شيء من الحذر والاحتياط، مما يدفعه أحيانا إلى مدح الخاملين من العامة، وأن يرضى ببيع ماء محيا ه في سبيل دريهمات قليلة «فلم يعط الفتى إلا عشرة دراهم، و لم يزده إلا بعد أن شفع له الشافعون وزاد المتنبي في المدح هذه أيضا بعض صورة المتنبي وهو في التاسعة عشر من عمره، لم تختلف عن سابقتها إلا أنّه زاد عليها حرص المتنبي على المال، وبيع ماء وجهه بالدراهم المعدودة، مما يترجم أيضا كساد شعره، وقلة مروءته»[2]، وتجاوزه لكل الحدود الدينية لدرجة أنّه- وفي سبيل المال- يجعل من ممدوحه إلها.

2-5 المتنبي في شمال الشام وفي طرابلس:

بعد أن استعرض "طه حسين" شعر المتنبي في شمال الشام ثم في طرابلس خلص إلى نتيجة نراها تحمل الكثير من الحقد والتحامل على صاحبه، فبعد أن يجيز للمتنبي الراحة واللهو بالصغائر، والترويح عن النفس ونسيان تلك الهموم الثقال التي كان يلاقيها أثناء ترحاله في الأفاق، فإنه في الوقت نفسه لا يرى في راحة المتنبي وفراغه،ودعابته ومجونه إلاّ السخف وثقل الروح «فلم يكن المتنبي حلو الروح، ولا خفيف الظل، ولا جذابا، وإنما كان مرّا غليظ الذوق في أوقات الدعة والفراغ »[3] فهو يتكلف المرح، والفرحة، والدعابة وأن الهدوء والسكون وراحة البال والميل إلى صغائر الأمور وتجعل من المتنبي إنسانا سخيفا، فهو مخلوق استثنائي، لا يصلح عيشه إلاّ مع الأمور العظيمة، فهو القرمطي المتعطش للدماء، ولقتل الحجيج في الحرم.

1- محمد آيت لعميم، الروح القلقة والترحال الأبدي، مرجع سابق، ص: 63.

2- طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق ، ص:67.

3- نفس المرجع، ص: 70.

إنَّ خلفية "القرمطية" دفعت "طه حسين" إلى تشويه صورة المتنبي فأراد أن تكون هذه الصورة كما أرادها أن تكون، فتكلف الكثير من الشَّطَطَ في تأويل النُّصوص وتفسيرها لصالح هذه النتيجة الوهمية، ولعلنا نميل إلى رأي " هارون عبود"حين قال: «لقد حان أن نودع هذه القرمطية الوداع الأخير، ونرمي أخر حجر في قفاها، زعم "بلاشير" أنّ المتنبي عارف بأصول القرامطة، واستدل على زعمه بهذا البيت: شيخ يرى...إلخ فجاء "طه حسين" الذي اعتمد على "بلاشير" في تاريخ الشاعر فقال إنَّ المتنبي قرمطي لاشك فيه »[1] إنّ مثل هذا النوع من الاستدلال يراه " هارون عبود"نوع من القصص الذي ينمو ويكبر حين تتناقله ألسن الرواة، وأنّ "طه حسين" لا يعدو أن يكون – في كتابه هذا- مكبرا فوتوغرافيا، أو رساما بقلم الرصاص، أخذ في نقد المتنبي بأقوال العرب، وفي تاريخه بقول بلاشير وجبريلي، أما نقده هو فما صح منه نادر.

2-6 المتنبي في اللاذقية:

يزعم "طه حسين" أنّ المتنبي عاش حياة راضية في جوار التنوخيين، ما دفعه إلى أن يملأ نفسه أمالاً وأماني، فأمر الشاب قد عظم وأصبح له حساد ومنافسون، وأنه قد وثق من نفسه واطمأن إلى فحولته وأنه وجد ضالته عند هؤلاء القوم فمدحه"لعلي بن إبراهيم" كان فيه شيء من الوضوح بميولاته وأهوائه الثورية وأنّ هذا الأخير كان من مشجعي المتنبي سرا على تلك الثورة التي أراد أن يشعلها المتنبي « وآية ذلك عندي أنّه لم يعد إليهم بعد النكبة، و لم يذكرهم في شعره، إما إشفاقا عليهم، وإما لأنهم هم أنفسهم قد أشفقوا منه وخافوه»[2].

هكذا وبهذه السهولة يبرر "طه حسين" قرمطية التنوخيين أيضا، فقط لأنَّ المتنبي لم يعاود مدحهم وذكرهم في أشعاره و لم يرجع إليهم برميهم بهذه الدعوى المحببة إليه ومن قصيدة

1- هارون عبود، الرؤوس، مرجع سابق، ص: 157.

2- طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق، ص: 74

واحدة أو من بضع أبيات يكشف المتنبي عن خطة السياسي ومذهبه الخطير «فإذا هو أعم وأشمل من القرمطية أو التشيع، وإذا القرمطية أو التَّشيع عند المتنبي وسيلة إلى تحقيق هذا المذهب الخطير، وهو أن تجتمع كلمة العرب وأن يعود إليهم ملكهم وسلطانهم، وأن يرد غير العرب من الخدم والوقيق إلى طورهم الذي كانوا فيه حين كان الملك عربيا صحيحا »[1] لا ندري فعلا إن كان ما قاله المتنبي في شعره يعبر عن مذهبه السياسي أم مجرد خواطر شاعر وأحلام عربي يتمنى رجوع أمجاد أجداده ونحن نتساءل أيضا هل كان هذا الحلم يراود المتنبي وحده؟ أم تراه راود القرامطة والشيعة؟ أم أنه حلم كل عربي مسلم عاش في القرن الرابع الهجري وعايش تلك الأوضاع السياسية والاجتماعية المزرية؟.

وإن ذهب البعض إلى أن طه حسين يقرأ الماضي بهموم الحاضر وأن شغفه بالقومية العربية دفعه إلى مثل تلك الفرضيات فإن خصومه يرون خلاف ذلك فهم يشكون في قوميته بعد أن أنفق أربعين عاما في الدعوة للفكر الرأسمالي، والثقافة الفرنسية والفرعونية، وأن انقلابه إلى الدعوة للقومية العربية أمر مريب «وطه حسين من بناة الفرعونية طيلة أربعين عاما. فكيف يصير واحدا من بناة القومية العربية؟»[2].

2-7 المتنبي في السجن:

يربط "طه حسين" بين سجن المتنبي ومذهبه السياسي الذي أيده عليه بعض التنوخيين، ويرى في الذين ألقوه في السجن أنهم أحسنوا إليه، لأنهم كفكفوا من غلوائه وردوه عن بعض حمومه، ثم بصورة ذليلا، مستكينا، غريبا، باكيا جدته النائية، تائبا عن خطأ تورط فيه، منكرا له في الوقت نفسه فهو ضحية واشٍ، وأنَّ ما أقدم عليه لا يعتبر جريمة كاملة الأركان، فلقد هم و لم يفعل، فهل يحاسب على جرم لم يقترفه؟ لذلك سارع في استعطاف الأمير الذي أبطأ في

1- المرجع نفسه، ص75

2- أنور الجندي، هل غير الدكتور طه حسين آراءه، في السنوات الأخيرة، دار الاعتصام، ص20.

الاستجابة له، وكتب فيه القصائد العصماء إلى أن سمع له أخيرا «فجمع له فيما يقال جماعة من أصحاب الجاه والشرف والدين واستتابه، فتاب وأشهد على نفسه أنه جَحَد ما كان من أمره وعاد إلى سبيل المسلمين»[1].

ما يلفت الانتباه في هذه القضية أنّ "طه حسين" اعتمد على الرواية بشكل تام هذا لأنّه لم يجد ما يتكأ عليه من شعر المتنبي في سجنه فهو لم يتحدث عن السبب الرئيسي الذي زج به إلى السجن إلا بعض الإشارات التي تتحدث عن سعي السُّعاة فيه لدى السلطان.

ولقد لاحظنا أن "عزَّام" يميل أيضا إلى فرض الخروج على السلطان ويرفض أن تكون دعوى العلوية أو دعوى النبوة سببا في دخوله السجن فهو يرو ي عن الثَّعالبي الذي يكاد يكون معاصرا " لأبي الطيب" ما نصه«وبلغ من كبر نفسه وبُعد همته أنّه دعا قوما من رائشي نبله على الحداثة من سنه، والغضاضة من عوده وحين كاد يتم أمر دعوته ت عوى خبره إلى والي البلدة، ورفع إليه ما هم به من الخروج فأمر بحبسه وتقييده»[2].

أما "محمود شاكر" فيميل إلى فرض دعوي العلوية التي جعلها هو الأخر " عمود صورة" للمتنبي، ويرى أن الأمر الذي قبض على المتنبي من أجله لم يكن النبوة، وإنما الخروج على السلطان، أما عن سبب إطلاقه من السجن فهو يرجح «أنَّ بعض التنوخيين العلويين (غير الفاطميين) كانوا قد سعوا عند ابن طغج لإطلاق المتنبي، وذلك لصلتهم ببني حمدان واتفاقهم معه في المذهب (العلوية)»[3].

ومن هنا لاحظنا أنَّ "طه حسين" خالف "محمود شاكر" في مسألة العلوية التي صيَّرها إلى القرمطية، وإلا فهما متفقان في مسألة الخروج على السلطان، ولاحظنا أيضا أن محمود

1- طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق ،ص: 90.

2- عبد الوهاب عزام، ذكري أبي الطيب، بعد ألف عام، مرجع سابق، ص: 68.

3- محمد شاكر، المتنبي، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، مرجع سابق، ص: 229-230.

شاكر يشيد بوفاء المتنبي لهؤلاء التنوخيين فلقد رجع إليهم وبقي عندهم ومدحهم أيضا بعد خروجه من السجن فهو الفتى الألوف الذي يقيده الإحسان «ومن وجد الإحسان قيدا تقيدا».

2-8 المتنبي بعد خروجه من السجن:

يصوّر لنا طه حسين في هذا الفصل نفس ية المتنبي المنكسرة بعد خروجه من السجن، هذا السجن الذي كان له بمثابة الامتحان الصعب، والتجربة التي أقل ما يقال عنها أنها غيرت المتنبي رأسا على عقب،فقد كان في سالف أمره شقيا بالأم ل، فصار شقيا باليأس، وكان ميالا إلى عظائم الأمور، فصار إلى توخي العافية أقرب، وهكذا فإنّنا نلحظ أن "طه حسين" يلحق كل صفات الفشل والانكسار على " متنبيه" « مشكك في نفسه، قانط من عزمه، نادم على ماضيه الذي جحده، يائس من مستقبله، وهو الفتى اليائس، البائس الذي حرم العون، غريب مشرد، فقير معدم».

يمكن لأي باحث جري ء، أن يطرح سؤالا مهما حول هذه النتائج التي توصل إليها "طه حسين"، هل استعان "طه حسين" بالمنهج النفسي؟ أم أنها مجرد تخمينات وفرضيات افترضها "طه حسين" من أجل إتمام بنائه الدرامي لخروج المتنبي من السجن؟.

يري بعض الباحثين أن "طه حسين"- في دراسته للمتنبي- لم يصدر أحكامه بناء على نظرية نفسية متماسكة، وإنما كان يشير بين الفينة والأخرى إلى الحالة النفسية للشاعر وطبيعة شخصيته وعلاقتهما بشعره«وإذا ما كان أغلب الدارسين يجمعون على أنّ "طه حسين" هو أول من أدخل علم النفس في الأدب العرب، فإننا نذهب إلى أنّه لم يعن بالمنهج النفسي كطريقة منهجية...بل كان يلمح ببعض المصطلحات المنتزعة من حقل علم النفس كالشخصية مثلا»[1].

1- في الأدب والنقد، بين شاعر الفلاسفة وفولتير العرب طه حسن/www.alhoor.se

ومثل هذه الدراسات وإن كان بعض النقاد يرون فيها استغناء عن التحليل البلاغي الذي هيمن على النقد قبل بداية عصر النهضة، أين انحسرت سلطة النقد القديم الذي لم تعد أدواته تواكب المناهج الجديدة فإن البعض الأخر منهم يميل إلى القول بأنَّ "طه حسين" مولع بالشخوص دون النصوص، وأنّ قراءته للمتنبي خضعت لمزاجه النفسي، قراءة سادت عليها لغة عدم الحب، فمنذ البداية أعلن "طه حسين" عن موقفه من المتنبي«وليس المتنبي مع هذا من أحب الشعراء إلى وآثرهم عندي، ولعله بعيد كل البعد أن يبلغ من نفسي منزلة الحب أو الإيثار»[1].

كان لتجربة السجن الأثر البالغ في تغيير شخصية المتنبي، وربما أصبح أكثر حذرا من ذي قبل، فلقد تعلم الاحتياط «وإذن فلن يجهر بقرمطيته وقد رأى ما جرته القرمطية عليه من شر »، وسيلوذ بحرفة بيع الشعر في سوق الكساد، ملتمسا حياته بمدح الأشراف وأواسط الناس .

وخلاصة القول أنّ متنبي الخامسة والعشرين رجل بائس مضطرب في شمال الشام، متهم في دينه، متكسب بشعره، وأنه أصبح "ردّ سجون" على حسب تعبير المصريين.

2-9 المتنبي في ظل الأمراء:

أخذ المتنبي – بعد خروجه من السجن- بكل الأسباب التي توصله إلى أمير من الأمراء، ولقد جاءت فرصته حين انهزم الإخشديون أمام الأمير العربي" بدر بن عمار". هؤلاء الإخشديون الذين أذاقوه مرارة الأسر والسجن والحرمان هم بالنسبة للمتنبي أكثر من عدو، وآن الأوان ليتصل بالأمير العربي يحدوه أمل كبير وثقة أكبر في "عودة الروح" إلى الأمة العربية وأمجادها.

هذا الأمير العربي "بدر بن عمار" الفارس الشجاع صارع الأسود وقاهر الإخشيد سيخلص له المتنبي أيما إخلاص ويثق به الثقة كلها وسيبذل له من الطاعة والحب والكثير من

1- طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابقل،ص: 10.

القصائد الخالدات طوال مرافقته له، ولعله يطمح وراء ذلك كله أن يستهوي أميره هذا بالقرمطية التي يحملها بين جنبيه.

إن متنبي طه حسين في هذه الفترة وفي هذا العمر وأمام هذا الأمير العربي سيتنازل على كل مبادئه، وسيذل ما تبقى من كرامته من أجل إرضاء هذا الأمير الفارس، وسيرضى أن يكون (ذليلا، وضيعا، ضعيفا، سخيفا) "وسنرى أنّ حياة المتنبي منذ ذلك الوقت ليست إلا سلسلة متصلة من بذل هذه الكبرياء للسادة والقادة والأمراء"[1].

لكن هذه الحياة الرغدة في جوار "بدر بن عمار" لم تدم طويلا، فأميره يعاق ر الخمرة، وحساده كثيرون، وكان في كثير من الأحيان يُكره على شرب الخمرة، إلى أن أتى يوم شرب حتى سكر وذهل عن نفسه فقرر أن لا يعود إليها حتى وإن أغضب أميره.

امتناعه عن الخمر قصور في خدمة الأمير، والمتنبي كما يصفه "طه حسين" صاحب روح غليظة وطباع جافية لا يصلح لمنادمة الأمراء وفي القصر رجال يكيدون له، فهذه الأمور مجتمعة أفسدت عليه أميره المحبب إليه ودفعته إلى الفرار منه.

ونحن نرى أنّ تفسير طه حسين لتلك الأبيات الأربعة هو الذي جعله يرجح هذا الفرض، وإن صح كره المتنبي لشرب الخمرة، فإنّه لا يصح معها ثقل ظله وعدم القدرة على منادمة الأمراء، ونميل أيضا إلى أن المتنبي رجل ممتلئ بذاته معجب بها وأن كبرياءه الذي سلبه طه حسين إياه هو الذي يمنعه عن الخمرة التي تجعل معاقِرها سيء الأدب، وتهلك العقل والبدن معا، وإن كان الشراب زينة مجالس الأمراء، فهو لا يريد أن يفسد تلك المجالس، ونميل إلا أنَّ أبا الطيب لم يكن يكره الخمرة إلا لأنها تغلبه وما تتركه من بشاعة ما يلقاه من قيئ وغيره بعد شرابها، وأن شرابه كان بين ندامى يطيقون الشرب ويكثرون منه دون أن تغلبهم، ولعلهم كانوا يتفاخرون بهذه الخصلة والمتنبي- وكما هو معروف- رجل لا يقبل الهزيمة أيّاً كانت، ولا يميل

1- مع المتنبي، طه حسين، مرجع سابق،ص: 110.

إلى الضَّعف مهما كانت أسبابه، ونفسه المم تلوح بالكبر تمنعه عن ذلك فلقد ذكر "الثّعالبي" في وصف كبره ما نصه «فأما الكبر فقد كان أبو الطيب متكبرا تيّاها، صلفًا يرى أن لا أحد مثله، وأنّ أعلم أهل زمانه فِدم وأحزمهم وغد ...ولقد كان من أثار كبره أن ترفَّع عن مدح الوزير المهلبي والصَّاحب بن عباد، وحدثته نفسه أن يتأبى عن عضد الدولة»[1].

أمام كل هذه الأخبار الكثيرة والمتنوعة وأمام هذه الصورة المشرقة يأتي "طه حسين" بمعاول قراءته ليهدم هذا التمثال الخالد ويكسر هذا الرأس الضخم، مقدما لنا صورة لا عهد لنا بها وكأنها صورة مسخ من المسوخ التي لا نراها إلاّ في أحلامنا وكوابيسنا المزعجة.

2-10 في ظل سيف الدولة:

يمكننا القول أنَّ أجمل هدية قد مها الأمير" أبو العشائر" إلى أبي الطيب المتنبي، وأجزل نوال ناله كان تقديمه إلى سيف الدولة، ذلك الأمير الفارس الذي ارتبط اسمه باسمه لأكثر من عشرة قرون، أمير عربي فارس شجاع "سليل بني حمدان" ولقد أحسن وصفهم من قال «أنّ بني حمدان كانوا ملوكا وأمراء أوجههم للصباحة، وألسنتهم للفصاحة، وعقولهم للرجاحة، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم، وواسطة قلادتهم»[2].

يعيب "طه حسين" على المتنبي تقربه إلى الحكام، ويحاول تقديمه دائما على أنه ذلك المتكسب الذي يتلون ويتملق من أجل إرضاء أسياده حتى يُخيل إليك أنّه يصف عبدا مملوكا لا فحلا من فحول العرب «وتعلم شيئا من حياة القصور ومعاشرة الأمراء، فهو ينادم الأمير الشاب منادمه الشاعر اللبق الذي يعرف هوى سيدة فيسبق إليه »[3]، ما بال "طه حسين"، ينكر عليه

1- أبو منصور عبد الملك بن محمد إسماعيل الثعالبي النيسابوري، تح: محمد محي الدين عبد المجيد، أبو الطيب المتنبي ماله وما عليه، مطبعة مجازي القاهرة، ص: 16.

2- يتيمة الدهر الثعالبي. TOPDF .http://www.almostafa.com :.

3- طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق، ص :131.

سوء معاملة الملوك ومعاشرتهم، فإذا رأى منه حسن منادمتهم زاد إنكاره واتهمه بالتملق والنفاق فكأنه كما قال" مارون عبود": «إنّ قارئ "مع المتنبي" كراكب الصعبة، فطه يعلو فيه ويسفل كالماء...تراه واقفا للشاعر بالمرصاد ويشد عليه كمن يتعمد الفتك...إذ به "مع المتنبي" يفتش على العيب بالسراج، وإذا وجده ضحّى وعيّد»[1].

أول معلم رئيسي يمكن أن نحدده في دراسة "طه حسين" "للمتنبي" وهو في ظل سبق الدولة هو انقطاع المتنبي لأميره تسعة أعوام كاملة، وقد لاحظ الدكتور أنّه لم يمدح غيره طوال هذه السنوات، ويرى في هذا الانقطاع نوع من أنواع بيع النفس، فالمتنبي تنازل لسيده عن نفسه وشخصيته وحريته، ثم يبرر هذا النزول والانقطاع للأمير الواحد بتغير الحياة السياسية والاقتصادية التي أنشأت نوعا من التنافس العنيف بين الأمراء والحكام في القرن الرابع، ويزعم الدكتور أن تحقيق هذه الظاهرة، هو ثمرة من ثمار التأريخ الأدبي المنهجي، وأنّ هذا التغير السياسي كشف القناع عن حقيقة شخصية المتنبي«فهي تقفنا على أخص ما يتميز به هذا الرجل من التناقض الغريب بين رأيه في نفسه وسيرته بين الناس»[2].

والمتنبي عند سيف الدولة وإن كان قد أجاد في المدح حتى أصبح موضوعه الوحيد سيف الدولة نفسه، فإنّه يتخذ شعره وسيلة لا غاية، وكان يتقاضى عن مدحه كما يتقاضى جنود سيف الدولة أرزاقهم وأعطياتهم.

فسيف الدولة المجاهد الذي يناضل عن الإسلام، ويحمى ثغور المسلمين من قبل الروم محتاج أيضا إلى تطويع رعيته، تلك الرعية- التي يصفها "طه حسين"- بأنها رعية بدوية قليلة الشعور بحب النظام، فهو محتاج إلى "بوق" ليقنعها بالامتثال، وسيف الدولة رجل دعابة ولهو، وصاحب ترف ونعيم، محتاج أيضا إلى نديم يصرف نفسه وينقطع به مثل المتنبي هذه الصداقة

1- مارون عبود، الرؤوس، مرجع سابق، ص: 202.

2- طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق، ص: 148.

النفحية التي ارتبطت بالمصالح عند الدكتور طه حسين، لم تكن السبب الوحيد في تنامي العلاقة بين الشاعر والأمير، بل هي علاقة حب وود واعتراف بفضل المصاحبين معاً، علاقة وصلت حدّ التباهي « فلم يكن سيف الدولة مجرد صديق حبيب، و لم يكن مجرد أمير يحارب أعداء العرب من الفرس والروم...و لم يكن مجرد ملك عربي يؤدب العصاة والشعوبين...ولكنّه كان بالنسبة إلى المتنبي- إلى جانب هذا _ شيئا أخر، فلقد اتخذه قناعا ليحقق من خلاله أحلام ه وطموحه ومجده»[1].

لا حظنا أن "طه حسين" قد اهتم بمدائح المتنبي لسيف الدولة، وأنه قد رجح المصلحة النفعية بين المادح والممدوح، ولكنه تغافل عن شرط المتنبي أو كاد يهمله، ذلك الشرط الغريب الذي إن فسر شيئا فهو إلى تفسير الإباء وعزة النفس أقرب" واشترط المتنبي على سيف الدولة أول اتصاله به أنه إذا أنشده مديحه لا ينشده إلا وهو قاعد، وأنه لا يكلف تقبيل الأرض بين يديه، فنسب إلى الجنون، ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط" هذا ما يذكره صاحب الصبح المبني، وهذا الشرط العظيم يرى فيه" عبد الوهاب عزام" أنه جدير بنفسية المتنبي، فلقد ألف أن يتخذ الممدوحين أصدقاء لا سادة، وأنه يشفق على نفسه أن تضام، وأن سيف الدولة لم يجد حرجا في نفسه من هذا الشرط فهو عربي،" والعربي بطبعه أبعد الناس عن أن يرضى العبودية لنفسه أو غيره"[2].

ونراه يركز- أي "طه حسين" – على دور البيئة، خاصة تلك البيئة المثقفة في حَلَب «ولكن ليس من شك في أن شاعرنا قد لقي في حلب بيئة لم يلق مثلها من قبل فيها غذاء لعقله، وإرهاف لحسه، وتقوية لشعوره، وفيها قبل كل شيء وبعد كل شيء ملاحظة متصلة، ونقد مستمر، وحسد وكيد، وتنافس في الظفر برضا الأمير»[3].

1- عبد العزيز الدسوقي، في عالم المتنبي، دار الشروق،ط2، 1988، ص: 70.

2- عبد الوهاب عزام، ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام، مرجع سابق، ص:104.

3- طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق، ص :172.

يتفق الباحثون القدامى والمحدثون، على أنّ فراق المتنبي لسيف الدولة جاء نتيجة حتمية وأثرا من أثار تفاعل وتخالط تلك البيئة المثقفة، فالبقدر الذي أفاد منها أبو الطيب إلاّ أنها في كثير من الأحيان تنغص عليه عيشة وتكدر عليه صفوه «كان حول سيف الدولة شعراء كسفت شمس أبي الطيب نجومهم، وأخمدت نباهة ذكرهم، فكانوا يحسدونه ولا يألون في ذمة والتسميع به، وإفساد ما بينه وبين صاحبة»[1] ولعل المتنبي كان يدرك ذلك الحسد، وكان يحس ويستشعر مكر هؤلاء الشعراء وكيدهم لذلك كان يبدأ بالهجوم وبالهجوم الصريح كما يصفه "طه حسين"، وللمحافظة على مركزه ورضا الأمير فلقد صار: «خادم من خدم الأمير، ورجل من رجال القصر قوام حياته الذلة والملق»[2].

إذن المتنبي في عيون صاحبه "طه عبد مطيع"، وخادم أمين، يستعمل كبريا ءه لمقارعة الشعراء كما يستعمل ذله لرضا الأمير، حتى في ما يتعلق برثاء أقارب سيف الدولة، فهو يصدر ما قاله أداء للواجب ونهوضا بالحق، لا استجابة للعاطفة حتى في رثاء"خولة" ست الناس، فطول البعد وفراقه لسيف الدولة، وحاجة المتنبي إليه، دفعته إلى ذلك الرثاء والبكاء المر، فالمتنبي رجل ليس كالرجال، رجل يكاد يشبه الآلة التي لا روح لها ولا قلب، فهو في نظر "طه حسن" يحب من أجل الحاجة ويكره من أجلها أيضا.

ونحن نرجح أنّ حديثه عن رثاء أخت سيف الدولة" خولة" جاء على سبيل الرد على محمود شاكر الذي فرض أنّ المتنبي كان يتعشق"خولة" وأنها المرأة الوحيدة التي أحبها في حياته«هذا ولا شك نحن من قبل ما جمعناه عندنا من الدلائل في هذا الأمر المتعلق بحب أبي الطيب و" خولة" أخت سيف الدولة، وان سيف الدولة كان على علم بما كان بينهما من المحبة

1- عبد الوهاب عزام، ذكري أبي الطيب، مرجع سابق، ص:113.

2- طه حسين، مع المتنبي، المرجع نفسه، ص: 173.

الغالبة على أمرهما، وانّه كان قد وعد أبا الطيب عدة لم يف له بها في أن يزوجه أخته هذه»[1]، وانّ لهذا الزواج الذي لم يتم سبب كاف في فراق المتنبي لأميره العربي.

إلاّ أنّه يتراجع قليلا عن موقفه تجاه رثاء أقارب سيف الدولة ليشير ويلمح إلى وجود علاقة ما بين الفقيدة وأبي الطيب، وأن تلك الفقيدة كانت تحسن إليه وتبره لينفي تماما علاقة الحب التي افترضها محمود شاكر «وقد يكون هذا حقا، وقد يكون كلام شاعر، والفرق عظيم على كل حال بينه وبين رأي من رأى أن قد كان بين الشاعر وبينها حب أو ما يشبه الحب»[2]

ونظن أن "طه حسين" بموقفه هذا من مسألة الحب يدفعنا إلى القول بأنه يكبر أن تكون هناك علاقة بين المتنبي وخولة، فهو أقل من ذلك ولقد طمع فيما لا ينبغي لمثله أن يطمع فيه.

2-11 عتاب وفراق:

يرجع الدكتور طه حسين سبب افتراق المتنبي عن سيف الدولة، إلى تلك الخطوة التي نالها عنده، فلقد ملك قلب الأمير والتأثر بمودته وحبه وأصبح الشاعر الأول في البلاط، فضا ق به بقية الشعراء ذرعا ثم بغضوه أشد البغض، فلقد نال من الجوائز والعطاء ما لم ينله غيره وهو في الوقت ذاته بترفع ويتكبر على هؤلاء الشعراء فلا تراه يفتخر بشعره ويرفع من نفسه إلاّ جدّ في وضع غيره هذا من جهة، أما السبب الثاني فيرجعه الدكتور"طه حسين" إلى هؤلاء الأشراف الذين انهزموا في معركة كان قد قادها سيف الدولة في وجه الروم، وأن هؤلاء الأشراف تفرقوا عن الأمير مما سهل انتصار الروم عليهم، فوصفهم المتنبي بالضعف والجبن والذلة، ما قاله المتنبي في هؤلاء الجنود جعلهم يكيدون له، ويردون الصاع صاعين، فسعوا به إلى الأمير، وألبوا عليه الناس«ولكنا نرى الرواة يتحدثون بأنّ خصوم المتنبي قد اجترؤوا على مجاهرة الأمير بالنعي عليه

1- محمد شاكر، المتنبي، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، مرجع سابق، ص:342.

2- طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق، ص: 182.

والطعن فيه، حتى أنكر أبو فراس أن يعطيه الأمير ثلاثة ألاف دينار في كل عام أجرا على ثلاث قصائد»[1].

ومن الملاحظ أنّ المتنبي مدح أواسط الناس ومن هم أقل رتبة من أبي فراس، فلماذا لم يمدح هذا الأمير الفارس؟ هل رآه أكبر من المدح؟ أم أنّ المتنبي كان يرى نفسه خصما له، وكان يبادله عداوة الشعراء؟.

تلك البيئة الجبلية المثقفة التي ضمت الأطباء والشعراء والفلاسفة وكل ذي علم لا يمكن لها أن تعيش وأن تسمر خارج المشاحنات العلمية والأدبية، والفوز بقلب الأمير كان غاية الجميع، ومن أجل ذلك القلب تعددت المعسكرات الأدبية داخل مجلس سيف الدولة نفسه«فهناك الخلاف الشديد بين كل من أبي فراس والمتنبي ولكل منهما أحباء وأنصار، فالجبهة الأولى على رأسها أبو فراس وجناح اها ابن خالوية وأبو العشائر، والجهة الثانية زعيمها المتنبي وجناحاها ابن جني وأبو العباس النامي، ويعمد كل فريق منهما إلى الكيد للأخر، وينتصر فريق أبي فراس في أغلب الأحيان نظرا لمكانته من سيف الدولة ومكانة ابن خالوية لدى الأمير لأنه أستاذه ومعلم أبنائه»[2].

إذن فخصومَه الكبار كانت وبالا على أبي الطيب وعرضت حياته للخطر وكيف لا وقد ملأ القلوب غيظا وحفيظة، فنسيان أبي العشائر والتنكر له، جعل هذا الأخير يرصد له جماعة من الغلمان ليقتلوه، ولكنه دافع عن نفسه أحسن الدفاع، وأبلى البلاء الحسن في مواجهة هؤلاء الغلمان وإن كان طه حسين قد أورد في أكثر من موضع أن المتنبي" جبان يستقوي على الضعفاء فقط، فإننا لا نعرف تماما كيف توصل إلى هذه النتائج دون تقديم مقدمات منطقية، مكذبا بذلك كل الروايات التي تروى وتنبئ عن شجاعته، يقول الثعالبي عن شجاعة المتنبي ما

1- نفس المرجع أعلاه، ص: 223.

2- محمد بن يحي بن مفرح آل عجيم، صورة سيف الدولة في شعر أبي فراس الحمداني، دراسة موضوعية وفنية، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

نصه«فأما شجاعته فهي أظهر من أن تلتمس بها الشواهد فهو شجاع يحن شوقا إلى لقاء العِدا، ويستصغر المخاطر في هذه السبيل، ويستهين بما يكابد فيه من أهوال، ولقد كان مسوقا إلى اقتحام الردى...وقد كانت مع ذلك عجلة تشبه الرعونة تثبت فيه من تلهفه على بلوغ الغاية التي يصبو إليها»[1].

ولقد لا حظنا أيضا أن "طه حسين" كثير الاستعانة بأخبار الرواة إذا أراد تحقيق عيب أو صفة ذميمة" لمتنبيه" أما إذا تعلق الأمر بخصلة من خصاله الحميدة فإنّه ينفي كل الروايات، محاولا أن يخصها بتأويل نصوصه الشعرية، وهكذا وبهذه الطريقة يرسم "طه حسين" الصورة كما أرادها أن تكون، فالمتنبي عند سيف الدولة ما هو إلاّ عبد مطيع لسيده، يفرح لفرحه، ويبكي لحزنه، ومن أجل هذا وذالك يتلقى الأجر، ويرضى بالخنوع والذل، ونراه يرسم" متنبيه" بعد أن فارق سيده هاربا كاللّص متوجسا خيفة من بطش " سيف الدولة" «وينتهي المتنبي إلى إقطاعه فلا يقيم فيه إلاّ ريثما يأمن من الطلب في أكبر الظن، ثم ينسل منه ويمضي أمامه حتى يخرج من حدود الحمدانين»[2].

2-12 في ظل كافور:

أول ما يستشير "طه حسين"- بعد فراق المتنبي لسيف الدولة- هو ذلك التيه الذي واجهه أبو الطيب، وتلك الحيرة التي انتابته وهو يختار الطريق الجديد لحياته، فأي السبل سيسلك؟ وإلى أي عظيم سيلجأ؟ فلا صديق له في العراق ولا حبيب، والمشكلة أنه هاجم وهو بين يدي ذلك الأمير التغلبي مِعزَّ الدولة وهاجم الخليفة نفسه، إذن فالجغرافيا تحاصره من كل جانب، وذراع سيف الدولة طويل «لأنّ هذه الطريق كانت كلها إلى سيف الدولة وإلى

1- أبو منصور عبد الملك بن محمد إسماعيل الثعالبي النيسابوري، تح: محمد محي الدين عبد المجيد، أبو الطيب المتنبي، ما له وما عليه، مرجع سابق، ص: 14.

2- طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق، ص: 231.

أولياءه»[1]، دون شك سيسلك طريقا أخرى يمر فيها ببلاد الإخشيديين، ثم إلى الفسطاط أين ينتظره قدره.

يري " طه حسين" أن اختيار المتنبي لمصر وإيثاره لها جاء استجابة لعدة أسباب منها سعى الإخشيدين إلى استقطاب المتنبي لصفهم، فالمعركة بينهم وبين الحمدانيين ترتكز بشكل من الأشكال على " الإعلام" لذلك جاؤوه بالآمال المطمعة والوعود المغرية، ورجح المتنبي أنّ مكانه عند كافور سيكون أفضل لذلك قرر أن يكون شاعرا رسميا لكافور، وسينقطع له، مغيظا بذلك سبق الدولة وأصحابه، وطامعا في الوقت نفسه بإمارة وسلطان.

اتسمت حياة المتنبي في ظل سيف الدولة بالنشاط، حياة كلها غزو وجهاد نصر وهزيمة، حياة بطولة تملأها الرحب وتذكيها أحاديث الناس، أما الحياة في مصر فهي حياة أمن وسلم ورغد عيش، لا حرب ولا جهاد، ولا شعراء ولا منافسين ينغصون عنه لذيذ العيش «ويظهر أنّ أمور مصر كانت صالحة مطمئنة حقا في ذلك الوقت، فكان أولياء الأمر فيها هادئين مطمئنين يدبرون الملك أحسن تدبير»[2].

المتنبي كما يراه "طه حسين"، لا يعيش إلاّ في الشقاء، ولا يصفو ما ؤه إلاّ في الكدّ، فالراحة تسؤه، والأمان يميته، لذلك ساءت حياته في مصر وكساه الحزن واليأس وانعكس ذلك على شعره وعلى سيرته أيضا.

أيهما المخطئ؟ هكذا تساءل "طه حسين" عن قضية المتنبي وكافور أهو كافور الذي سار سيرة السياسي اللبق فاجتهد أم هو المتنبي الذي أسرف في الا عتداد بنفسه؟ هكذا نرى "طه حسين" يرمي باللائمة على المتنبي في كل أحواله، فلا يجدر بالمتنبي أن يحسن الظن، فهو- في

1- طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق، ص:235.

2- المرجع نفسه، ص: 240.

نظره – غبي مغرور، متكبر، مصدق للوعود، لجأ إلى كافور حبا وطمعا في الحكم الذي نشأ طامعا فيه، آملا أن يجمع بين إمارة الشعر وإمارة الحكم.

« لقد أصدر طه حسين حكمه بأن كذب كافور وتحايله وغدره وعدم وفائه بوعوده إن هي إلاّ مظاهر للدهاء والذكاء والحنكة وحسن تدبير الملك، أما ح لم المتنبي بالإمارة والمجد فإسراف وغرور، وثقته بمن وعده طمع وغلو في حسن الظن، وطموحه إلى المعالي اندفاع لا مبرر له»[1]، فـ"طه حسين" إذن مولع بقلب الحقائق، فهو يستطيع بلغته المراوغة أن يقلب كل المفاهيم، وأن يرتب القيم كما يجب ويشتهي وإننا لنعجب لتلك الأحكام التي يصدرها في حق المتنبي، فإلى جانب الغباء والغرور، والجبن، يضيف إليه حرصه على المال الذي يصفه بأنّه بخل قبيح، ويستمر في كيل الصفات الذميمة للرجل فهو «كغيره من الناس قد رفع نفسه فوق قدرها، وزعم لها ما ليس من أخلاقها، وطمع فيما لا ينبغي لمثله أن يطمع فيه، ظن نفسه حرّا و لم يكن إلاّ عبدا للمال، وظن نفسه أبيا و لم يكن إلاّ ذليلا للسلطان، وظن نفسه صاحب رأي ومذهب، و لم يكن إلاّ صاحب تهالك على المنافع »[2]، ومما يثير الغرابة في تحليل "طه حسين"، هو تلك المفاضلة التي يجعلها بين المتنبي وأبي العلاء، موازنا بينهما، منتصرا لشاعره أبي العلاء، وكأننا به في هذا الانحياز والانتصار، ينحاز إلى شبيهه، منتصر إلى فئة العميان، أو لنقل ثائرا على المبصرين، كأنّه يردد في نفسه أن الشمس تنير طريق المبصرين، وليس عليها أن تبصر، لذلك قرر بكل جرأة أن ين ـقم لنفسه ولأصحابه، و لم يكن بوسعه في هذا الانتقام إلاّ أن يقزم الأبطال.

وإذ كان المتنبي قد أعطى صورة قا تمة عن كافور الإخشيدي فإننا نرى أن "طه حسين" قد رسم صورة أسوأ واشد قتامته من تلك الصورة التي رسمها المتنبي لصاحبه كافور، وإذا كنا نميل إلى القول بأنّ المتنبي كان صادقا في رسم تلك الصورة الشعرية الكاريكاتورية لأنّه انطلق من ذاته، من بؤسه بزمانه وشقائه بأحلامها، أما "طه حسين" فلا عذر له، لأنه يقف وقفة المؤرخ الذي يجب عليه أن لا يحيد عن الموضوعية قيد أنملة.

1- إبراهيم صالحي، التعريض في مدائح المتنبي الكافورية، دراسة في الأسلوب والدلالة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2007-2009، ص: 47.

2- طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق، ،ص:247.

أما ميلة إلى حسن سياسة كافور ودهائه فمسألة معروفة عند القدماء، معلومة لدي المحدثين، والكثير من الناس يعي أنّ لكافور الإخشيدي في الذاكرة العربية صورتان متناقضتان، الأولى صورة تاريخية مبثوثة في كتب التاريخ، وهي صورة وضاءة تبرز كل صفات الحاكم الناجح والسياسي الداهية، أما الثانية، فهي صورة فنية أبدعت مخيلة المتنبي وقدرته الشعرية في رسمها«حتى أصبحت كلمة "كافو ر" بسبب ذلك مرادفة للخيانة، والانتهازية والخبث والجبن، واتخذت صورته في ذهن القارئ العربي شكلا " كاريكاتوريا" مضحكا»[1].

استطاع المتنبي بقدرته الفنية وسطوته الإبداعية أن يمحو صورة كافور المشرقة وأن يطعن في كل المصادر التي تشير إلى تاريخ كافور السياسي، وأن يجعل من الأستاذ أبي المسك كافور بن عبد الله الإخشيدي صاحب مصر والشام والثغور مجرد عبد آبق مضحك لربات الحجال البواكيا.

«وكأن القارئ العربي المعاصر يترجم ما تختزنه المخيلة الجماعية عن العبيد ف مال إلى تصديق المتنبي هاجيا لمطابقة نصه الهجائي للمتخيل الجمعي المتوارث عند الخصّي الذي لا يتمتع بصفات (الفحل الأبيض)»[2].

ومرة أخرى يعود "طه حسين" إلى نزعته الفرعونية، وإلى تمجيد مصر القديمة، والمصرين القدماء، ولأن شعر المتنبي كان أكثر نضجا في مصر فلأن الحياة العقلية في الفسطاط أفضل بكثير من غيرها«فقد كانت البيئة المصرية قديمة العهد بالحياة العقلية على اختلاف ألوانها، وأقدم عهدا بها من دار الخلافة نفسها، والناس جميعا يعلمون أنّ علوم الدين وفنون الأدب ازدهرت في الفسطاط قبل وجود بغداد»[3]، لهذه الأسباب قرر "طه حسين" أن المتنبي كان يحترم ويقدر علماء مصر ومثقفيها أكثر مما كان يقدر علماء حلب فهو مدين لهم وعليه أن يحترم احترام التلميذ لمعلمه.

يرى "مارون عبود" أنّ "طه حسين" قد جانب الصواب في هذا الرأي الذي ذهب إليه وأنّ المتنبي دخل مصر وشهرته تسبقه «أما الذي ظهر لي أنا فهو أننا أرسلنا المتنبي إلى مصر

1- تلقي الشعر العربي الحديث لصورة كافور الإخشيدي www.pdffactorv.com

2- المرجع نفسه.

3- طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق،ص: 247.

ناضجا لكل النضج بعد أن قضي في محيطنا سنين أنمت ذوقه وصيرت بسره رطبا وتمرا فاللهجة الشامية التي هي أصح لهجات العرب، والتي تكاد حتى اليوم فصيحة، هي التي أسبغت على أسلوب الشاعر العظيم هذه الروعة »[1] ويصف " مارون عبود" معلقا على دور البيئة المصرية وتأثير الحياة العقلية فيها على شخصية المتنبي وشعره ما نصه «أما البيئة المصرية التي يتبجح طه بمدحها ويمتنُ على المتنبي فعدت إلى تاريخها وأنصت إلى تلك الحقبة فما سمعت إلى دجاجات تقوقي وضفادع تنق»[2].

هذا وإن كنا لا نميل إلى رأي " مارون عبود" كل الميل، فهو مثل صاحبه ينطلق من دافع القطرية، وإن كانت حججه العقلية والتاريخية قوية وبراهينه متينة في الردّ على" طه حسين".

دامت إقامة المتنبي عند" أبي المسك" أربع سنوات وستة أشهر أنشده خلالها القصائد الجيّاد، إلاّ أنّ الدكتور يشك في تلك الأخبار التي تروى إعراض المتنبي وعزوفه عن المدح مدة سنتين كاملتين ويرى أن المتنبي قد أسقط ذلك الشعر من ديوانه عن قصد.

ويذهب أيضا إلى أنّ علاقة " أبي الطيب" "بأبي المسك" لم تكن تلك العلاقة التي يؤ مل منها أن تتطور يوما لتصح علاقة حب ومودة وصداقه فلم يصف المتنبي لكافور، ولا صفا كافور لشاعره، فهي علاقة يدفعها طمع الشاعر ويمنعها حرص السلطان «وتتقدم هذه السنة والشاعر منتظر، والأمير مبطئ»[3]فمتى يصبح واهب المال واهبا للإمارة والحكم؟.

ويذكر عبد الوهاب عزام في ما يتعلق بتمسك" أبي الطيب" بأحلام الإمارة أن كافورا كان قد وعد شا عره بعد أن أعجب بقصيدة قالها في مدحه أيما إعجاب أنّه سيحقق له كل أمانيه وأنه «تقدم إلى أصحاب الأخبار يرجفون بأنّه ولاه موضعا من الصعيد، وينفذ إليه قوما يعرفونه ذلك، فما كثر هذا وعلم أن أبا الطيب لا يثق بكلام يسمعه حمل إليه ستمائة دينار ذهب»[4].

1- مارون عبود، الرؤوس، مرجع سابق، ص: 174.

2- مارون عبود، الرؤوس، المرجع نفسه، ص: 178.

3- طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق، ص: 261.

4- عبد الوهاب عزام، ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام، مرجع سابق، ص: 147.

فبين إلحاح الشاعر وتباطئ الأمير تبدأ نهاية علاقة أبي الطيب بكافور تلك العلاقة التي أقل ما يقال عنها أنها بدأت واهية، ولقد لا حظنا أيضا تأثير كتاب" مع المتنبي" وخصوصا في ما يتعلق بقضية المتنبي وكافور على المحققين المحدثين حتى قال غازي القص يبي- على الرغم من شغفه بالمتنبي"... شاعرا أجيرا بعد أن فشل أن يصبح شاعرا ملكا، هل يوجد سبب آخر يفسر إصراره المستميت على الولاية؟ ولم ينجح وحاول أن يكون شاعرا فارسا ولم يوفق، جرب وظيفة في بلاط سيف الدولة إلاّ أنه ما لبث أن ملها، كان المتنبي-شاء عاشقوه أو كرهوا شاعرا أجيرا»[1].

إن جملة ما يصوره "طه حسين" في فصله هذا عن المتنبي أنه رجل كغيره من الناس إلاّ أنه يفوقهم في شدة طمعه، وقلة وفائه، فهو الجاحد للجميل المنكر للنعمة، المتناقض الصادق الكاذب والكاذب الصادق في الوقت نفسه، وإن بؤسه تأرجح طول الفترة التي قضاها في جوار كافور بين الأمل الذي تطور إلى درجة المرض وبين حزنه لفراق سيف الدولة «وأنّه كان يشعر شعورا قويا مؤذيا بأن كرامته قد أهينت في مصر »[2]، فهو شقي في الفسطاط بفراق سيف الدولة وشقي أيضا بإخلاف كافور وتلاعبه.

2-13 فراره من كافور:

أهم ما يركز عليه "طه حسين" في فرار أبي الطيب ظاهرتان يراهما أجدر بالملاحظة والتفكير، الظاهرة الأولى يستنبطها من تلك الحادثة التي عرضت له حيث نزل بوردان بن ربيعة الطائي، ذلك الأعرابي الذي أفسد عليه غلمانه وأغراهم بسرقة متاع سيدهم حتى إذا عرف المتنبي بأمرهم وأحس بخطرهم ضرب وجه غلامه وجدع أنفه، ليأمر بعد ذلك غلمانه أن يجهزوا عليه فقتلوه. يضع "طه حسين" فعل أبي الطيب هذا تحت المجهر ليخلص أن هذا الشاعر الذي نراه عظيما ما هو في حقيقة الأمر إلاّ مجرما سفاحا يستبيح الدم الإنساني من أجل رغبته وحرصه على المال، وأنّه لا يمكن بحال من الأحوال أن يملك هذا ال رجل نفساً شاعره متحضرة«فضلا عن الدين الذي لا يبيح دماء الناس في مثل هذه الصغائر، ولو أن حياة المتنبي

1- غازي القصبي، عن قبيلتي أحدثكم، (لندن منشورات الزمان 2001) www.pdffactorv.com

2- طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق، ص: 270.

كلها خلت من النقائض والعيب، لكانت هذه الحادثة وحدها خليقة أن تسبغ عليها لونا أحمر قانيا يبغضها ويبغض صاحبها إلى الناس»[1].

يؤكد لنا الدكتور في هذه الخلاصة أنّه فعلا يبحث عن عيوب المتنبي ومساوئه، وكأنّه يريد من المتنبي أن يبقي جبانا كما صوره لنا، وأن يقتل فيه أي مظهر من مظاهر الفتوة والشجاعة.

وأما الظاهرة الثانية، فأمرها أغرب من الأولى، فبعد أن يذكر الدكتور إعجابه بالقصيدة التي قالها المتنبي في هجاء كافور والفخر والإعتدا د بنفسه يخلص إلى القول بأنّ ذلك الفخر، ما هو إلاّ فخر معجب والحقيقة كما يراها "طه حسين" أنّ في باطن ذلك الفخر يقب ع المتنبي الحقيقي، المتنبي الذي يلوذ بالفرار مثل اللصوص ويندفع في الصحراء اندفا ع الصعاليك، المتنبي الذي يقتل عبده لأنه سرق بعض المتاع فقط وينتهي طه حسن إلى النتيجة التي يجب أن نخلص إليها- نحن القراء والمتمثلة في وجوب ازدراء هذا الرجل "ولكننا قد نزدري الرجل، وقد ينتهي الازدراء إلى أن نرحمه»[2].

نَصَّبَ "طه حسن" نفسه قاضيا وحاكما على المتنبي، و أصدر حكمه السريع بوجوب ازدراء هذا الرجل الذي نراه عظيما لأنّه قتل نفسا بشرية لحرصه على المال، ولسنا ندري كيف فسر طه حسن فساد غلمانه بالسرقة فقط؟هل كان أبو الطيب فعلا بهذه الرعونة؟.

يجمع أغلب الرواة على أن كافور- وبعد أن بلغته القصيدة التي قالها الشاعر ليلة العيد غضب غضبا شديدا، لذلك أتبعه بالخيل والرجل وكتب لعماله أن يردوا عليه "وكان بنو فزازة شاتين بها، فنزل الشاعر بقوم من عدي فزازة ...ثم ظهر له فساد عبيده...وأراد أحد عبيده أن يخونه فضرب أبو الطيب وجهه بالسف، وأمر الغلمان فقطعوه»[3].

هي صورة بالأحمر القاني كما يريد أن يراها "طه حسين" ويضيفها إلى تلك الصورة التي رسمها بالأسود القاتم فالمتنبي في إنجازه كما يقول "طه حسين"، مذبذب الرأي والهوى،

1- المرجع نفسه، ص: 288.

2- طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق، ص: 290 .

3- عبد الرحمان البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة، 2012، ص :51.

أفرط في قرمطيته، متكلف للشعوبية يدعو إلى العربية ثم يعرض عنها، يأخذه الطمع إلى حد مدح العبيد والزنوج ففي سبيل المال يضحي بعروبيته وبقرمطيته وبكل مبادئه.

2-14 خاتمة المطاف:

إن ديوان المتنبي لا يحوي خبر وفاته، لذلك لجأ الدكتور هذه المرة أيضا إلى عدم التشكيك في خبر الرواية «وليس عندي ما يحملني على الشك في خبر أبي نصر الجبلي هذا، فالصدق ظاهر فيه»[1]، أما الامر الذي يثبته دون شك هو انتساب فاتك ألأسدي إلى القرامطة حين يعزز هامش كتابه بنص منقو لٍ عن البغدادي في خزانة الأدب من كتاب إيضاح المُشكِل من تصانيف أبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمان الأصفهاني «يقرب هذا ويؤيده فهو يحدثنا بأن فاتكا لما أبي المتنبي ما عرض عليه من خِفارته في الطريق جمع له سبعين من الأعراب الذين يشربون دماء الحجيج فقتلوه»[2].

ولا حظنا أيضا أن "طه حسين" لا يشير من بعيد ولا من قريب إلى خبر بَسالَة المتنبي وقتاله في معركته الأخيرة «وقاتل الشاعر الشجاع حتى قتل، وقتل ابنه »[3]. ونراه لا يغفل خبر القرمطية التي جعلها عمود صورة لمتنبيه وأنه ادعاها في صغره وكبرت معه حتى مقتله«ويراجع طه وساوس القرمطية، فيحاول أن يجعل لها يدا في مقتل الشاعر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس»[4].

حاولنا في المبحث السابق أن نكشف عن صورة "شخصية المتنبي" – كما رآها وصورها "طه حسين" ولقد تتبعنا النقاط وأجزاء تلك الصورة المتناثرة في كتابه "مع المتنبي" من أجل إعادة بناءها وتركيبها في صورة واحدة كاملة.

ولا نجانب الصواب إذا قلنا بأن الصورة التي تحصلنا عليها هي صورة جيدة ، لا عهد لنا بها، صورة تخالف ما توارثه الأجيال عن تلك الشخصية العربية الفذة وأن ما رسمه "طه

1- طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق، ص:312.

2- المرجع نفسه، ص:213..

3- عبد الرحمان البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص:60.

4- هارون عبود، الرؤوس، مرجع سابق، ص: 200.

حسين" ما هو إلا مسخ يضحك باستهزاء من تلك الصورة الجملية التي ترسبت في أذهاننا عن متنبي أمتنا و وحيدها، وأن ذلك المتنبي الذي ظل قدرونا متوالية عظيما "بأبنه"، واقفا في قارة وحده، ما هو إلا واحد من الناس، أو أقل منهم في أحايين كثيرة.

ولقد لاحظنا تنوع المناهج التي استعملها الدكتور في دروسه، وتوقفنا عند الكثير من الآليات والمفاهيم التي جعلها مشارط لتشريح نصوص المتنبي ومفاتيح من أجل النفاذ إلى نتائج كان قد قررها سلفاً جاعلا من تلك النتائج "عمود صورة لمتنبيه" وكانت مسألة "القرمطية "وضعة النسب" النصيب الأوفر في هذا العمود.

ولقد راودتنا أسئلة كثيرة تدور في مجلها حول أهمية استعمال المنهج في مثل هاته الدراسات وهل كانت الدراسات التي يمكن أن نسميها دراسات قبل المنهج خلوا من أية قيمة؟ وأنها لا تستطيع الوصول إلى نفس النتائج التي وصلت إليها الدراسات المنهجية؟

أم أن افتتان الدكتور بقضية المنهج هي التي دفعته أن يثبت أهمية الدراسة المنهجية وصحة الأداة لذلك راح يصرخ في وجه المتكلمين باسم التراث مفنداً لأخبارهم و رواياتهم تارة، ساخرا بعقولهم وبقراءاتهم تارة أخرى؟

فإن كان هدف الدكتور هو التجريب والتمرن على المنهج فقط فنحن نرى أن المناهج –سياقية كانت أو نسقية– ما هي إلا وسائل وآلات مفاهمية لا يجدر بها أن تكون هدفا وغاية لذاتها.

ويمكن أن يأخذنا الشك إلى أنَّ عميد الأدب ذهب إلى تشويه صورة المتنبي حتى يخالف الذوق السائد العام وأن يكسر ذلك الرأي الجماعي، وان يسخر كعادته من كل ما نراه قيمة حضارية وأن يقطع كل سبب يربطنا بتلك القيم التي تشكل من بعيد أو من قريب بعض من هويتنا العربية والإسلامية.

وسؤال آخر تمحور حول طريقة تعامل الدكتور" طه حسين" مع القضايا الكبرى ومع الشخصيات التاريخية العظيمة فالمتتبع لآرائه يلاحظ بيسر ذلك التجاهل المقص ود لهؤلاء الأعلام، فهل تعتبر "طه حسين" مهووسا بفكرة تقزيم الأبطال؟ أم انه فعلا أراد تحريرنا من رِبقة تقديس التراث، وأن يضع فأسه على تلك التماثيل التي ظللنا لها عاكفين قرونا من الزمن؟ أم تراه ينتقم من تلك "الأنا" العظيمة "أنا المتنبي" في سبيل رفع وتعظيم أنا طه "طه حسين".

كل هذه الأسئلة وغيرها، تدفعنا بقوة إلى الحيرة والقلق بشأن ما فعله الدكتور بالمتنبي أو بالأحرى ما فعله بنا نحن كقراء لذلك التراث الضخم، أيضا لعميد الأدب نفسه.

3- شعرية المتنبي في نقد "طه حسين":

3-1 النقد الفني عند "طه حسين":

أما في هذا المبحث فإننا سنحاول أن نكتشف صورة أبي الطيب " الشاعر" بعيدا عن شخصيته وسيرته، وأن نقف على رأي "طه حسين" في شعرية المتنبي وعن موقعه بين شعراء العربية ونؤكد على أن لفظ الشعرية عندنا غير مرتبط بالمفهوم الذي حدده أساطين النقد الحديث من أمثال " جون كوهين" وغيره، وإنما استعملناه تجاوزاً للتعبير عن تلك المعايير والأحكام التي ساقها "طه حسين" في نقد أشعار المتنبي.

ترسخ في ذهن العربي – منذ قرون عديدة- أن أبا الطيب مالئ الدنيا وشاغل الناس، وأنه السابق الهادي إلى ما يقوله. وأنه تبنى في شعره، وأن معجزاته ظهرت في معانيه وأن هذا العظيم كان محل خلاف كغيره من العظماء. فإن تكالب عليه حساده ومبغضوه، فلكي يقف محبوه ومريدوه درعا واقيا وذراعا قوية تمنع عنه هؤلاء الأعداء وغطرستهم فألفوا التصانيف الكبيرة في فضله ومناقبه، وبين مبغض ومحب نشأت فرقة ثالثة شكلت ما اصطلح

عليه بمفهوم الوساطة، جاءت لترفع ذلك الغلو وتحل محله الموضوعية في الحكم وعدم التطرف فرأت أنه ليس من الحكمة أن « ننسى محاسنه وقد ملأنا الأسماع وروائعه وقد بهرت، ولا من العدل أن تؤخره الهفوة المنفردة ولا تقدمه الفضائل المجتمعة وأن تحطه الذلة العابرة، ولا تنفعه المناقب الباهرة؟»[1].

هذا مقتطف من بعض أراء النقاد القدامى في مثالب المتنبي، وكيف كانت الردود على تلك الانتقادات أما الذي يهمنا في هذا المبحث هو رأي " طه حسين" في شعر أبي الطيب المتنبي والى أي مدى جاءت قراءة الدكتور لتلك الأشعار قراءة بريئة وصحيحة؟.

يصرح " أنور الجندي" في محاكمته لطه حسين، أن هذا الأخير ينطلق من أغراض شخصية ومآرب نفسية في انتقاداته الأدبية، وأ نّ هناك إجماع بنصوص صريحة من العقاد وزكي مبارك ومحمود شاكر أن "طه حسين" قليل الخبرة في فهم الشعر ونقده، وتجمع نصوص أخرى على انه في كل معاركه التي دخلها عن الشعر كان موقفه ذاتيا، وكان يصدر عن هواه الشخصي، و لم يكن يملك من الأدوات ما يمكنه من سداد الرأي[2].

إن ما قاله أنور الجندي لا يمكن التهوين منه خصوصا انه جاء عن ألسنة تعتبر إلى وقت قريب قامات من قمم الأدب العربي، على أن ه لا يمكن التسليم المطلق بفكرة الهوى الشخصي والمنطلق الذاتي فهي تحتاج- في نظرنا- إلى أدلة أقوى وتوضيح أعمق فالمنطلق الذاتي هو الوجه الحقيقي للناقد التأثري الذي يفسر العمل الأدبي على انه تعبير عن الإحساسات والمشاعر التي تجيش بها نفس الكاتب، وأثر هذه الإحساسات والمشاعر على الناقد نفسه، وعلى قدر هذا الأثر يسوق الناقد أحكامه ويعللها.

1 - نجم مجيد علي و م. زينب محمد حسين، القاضي الجرجاني عن تعليقات الوحيد الأزلي على شرح ديوان أبي الطيب المتنبي المسمى (الفُسر) مجلة كلية الآداب العدد 97 www.elmaarfa.com

2 - أنور الجندي، محاكمة فكر طه حسين، دار الاعتصام بدون تاريخ، ص: 79.

ولعل أهم الانتقادات التي واجهت "طه حسين" بحدة وعنف هي مسألة السطو التي اتهمه بها الأستاذ محمود شاكر " ولما كان التذوق بيني وبينه واحدا وهو شعر المتنبي، رآه على نفسه سهلا يسيرا وهينا لينا المعاطف، أن يتذوقه كما تذوقته وأن يستخرج منه حياة أبي الطيب... ولقد لاقى الأمرّين في هذا التذوق، لأنه كلما جاء إلى شعر يتذوقه، فوجد لساني عنده يتذوق، زاحمني عليه والتقى اللسانا ن ثم رفع لسانه ليكتب عن أثر تذوقه وإذا هو من حيث لا يدري قد تذوق بلساني، فتتطابق ذوق اللسانين والحمد لله"[1].

ويرى "عبد العزيز الدوسوقي" أن كتاب " مع المتنبي" من أعظم الدراسات التي تناولت شعر أبي الطيب، وانه من أعظم كتب طه حسين ويرى بأن جوهر الخلاف بين "محمود شاكر" و"طه حسين" يبدأ بالخلاف الفني فالأستاذ شاكر يعيب طه حسين بأنه لا يحسن تذوق الشعر وبأنه لا يستطيع أن ينفذ إلى التجربة الشعرية، وأنه قليل البصر بالشعر فهو يهدر الألفاظ إهدارا، وأنه يصدر أحكامه النقدية عن تخاليط بلاشير وأضرابه.

ورداً على هذا الاتهام يقول "عبدالعزيز الدسوقي": « لطه حسين عشرات الكتب والدراسات الأدبية تؤكد قدرته على الفهم والتذوق وحاسته الفنية النافذة إلى جانب ما يتميز من أداء فني رفيع ونظرة عقلية وخصوبة فكرية»[2].

هذا ويرى في كتاب طه حسين الاهتمام الكبير بالدراسة الفنية والتذوق الجمالي وأن منهجه مستقيم في النقد والدراسة الأدبية وان من جملة ما يروق في كتابه ذلك التناول الخصب والتذوق العميق، والترتيب المنظم، واللفتات الذكية والاستنتاجات الحية التي يعتبرها صورة لمزاج طه حسين الفني والأدبي والتي تعبر أيضا عن طريق ته في التعبير والتصوير ليقرر في

1 – محمد محمود شاكر، المتنبي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، مطبعة المدني، 1987، ص: 148.

2 – عبد العزيز الدسوقي، في عالم المتنبي، دار الشروق بيروت، ط2، 1988، ص:170.

الأخير أن له نية مبيتة يصفها الدسوقي بالخروج عن التقاليد «فالحق إنّي ضد شطحات طه حسين كلها التي بدأت بالغض من أعلامنا أو الخروج على بعض تقاليدنا ومقدساتنا» [1].

إن "الدسوقي" وإن كان يبدو منصفا لـــ "طه حسين" في خصومته مع محمود شاكر إلا انه لا يستند في درسه على أدلة علمية وحجج ثابتة بل نراه في كثير من الأحيان يرسل انطباعات حول ما قرأه للخصمين. خصوصا ما تعلق بمسألة نقد الشعر عند طه حسين، فلقد اكتفى بمدح ذائقته وحسن اختياره وقدرة نفاذه إلى النصوص الشعرية لكنه لم يحدثنا عن الأسس التي اعتمدها الدكتور في نقده لأشعار المتنبي.

ومما استخلصناه في بحثنا أن أغلب الدارسين لكتاب " مع المتنبي" يشيدون بجدة الدراسة، وتفردها على الرغم من أنها حملت بعض الخرجات الغير مرتقبة كذلك الطعن المباشر.

في شخص المتنبي مثلا « وما تقدم ليس إلا مثل واحد لما تتصف به هاته الدراسة من التسديد الذي يندر في أحاديثه والحقيقة أن هذه الدراسة لا تمتاز على أحاديثه بهذا التسديد وحسب، بل أيضا بمراقبة النتائج وصلتها بأسبابها ... ولعل شيئا واحدا من "طه حسين" لم يتغير في هذه الدراسة هو نقده الفني ومناحي تفكيره في هذا النقد وهو هنا وإن كان يبني أحكامه الفنية على شواهد من شعر الشاعر، إلا انه كثيرا ما يكبو ويخطئه التوفيق في الوصف والاستنتاج»[2].

إن مسألة الخطأ في نقد الشعر وتقييمه مسألة شائعة بين النقاد القدامى و المحدثين على حد سواء، وتبقى أحكامهم النقدية خاضعة لمزاجهم الشخصي وثقافة العصر فهي أثر إنساني يرفض القيد ويتوق إلى الحرية فما يراه ناقد ما حسنا قد يرى فيه ناقد آخر عين القبح، وهذا ما يزيد من صعوبة نقد الآداب ونحن لا نشك أن نقد الآثار الأدبية شيء

1 – عبد العزيز الدسوقي، في عالم المتنبي، مرجع سابق، ص: 186.

2 – ربيعة محمد حيدر، حركة نقد الشعر في مصر، مرع سابق، ص:241.

صعب لأنه لا يعتمد في جوهره على قواعد مقررة ثابتة ، ولأنه لا يحتاج إلى ذكاء ومهارة في العرض، فلا يكفي أن يكون الإنسان دارسا لنظريات النقد الحديث ومناهجه، بل لا بد أيضا أن يكون من دقة الذوق والأداء بحيث يصوغ نقده صياغة تروق القارئ.

إلى جانب خصوصية الأثر الأدبي وصعوبة تناوله والحكم عليه فإن المشكلة التي تصادفنا في دراسة "طه حسين" تتمحور حول الغاية من نقد الشعر، ف نحن نرى أنه استعان بالنص الشعري للغوص في شخصية أبي الطيب " ومحاولة اكتشاف طباعها وسجاياها، فالشعر بالنسبة إلى "طه حسين" ليس هدفا وغاية بل يعتبر مفتاحا للعبور إلى سيرة المتنبي لذلك نراه يستنجد بالتأويل ولِيّ أعناق النصوص ويبعد التفسير والتحليل البلاغي الذي كان مهيمنا على النقد في الدراسات التي سبقت عصر النهضة.

3-2 الخصائص الفنية لشعر المتنبي :

يرسم "طه حسين" خطا يتتبع من خلاله التطور الفني لشعر المتنبي ،يبدأ هذا الخط من طفولته ،فالطفل الشاعر –في نظر ه – تعبير عن اللّحظة الحاسمة، فهي لحظة الميلاد فكما يحسن بالمولود أن يكون مكتملا فكذلك يجب أن تكون لحظة ميلاد الشعر كاملة.

ويعبر آيت لعميم عن هذه البداية قائلا «نلاحظ من خلال هذا التصور للعملية الإبداعية أن الشاعر يدخل العالم الشعري وهو يحبو كالطفل»[1]. وأن ما يميز شعر البدايات هو التفكير والتصنع وأنّ الأصل في الإبتداء الفني لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون إبداعا خالصا ، وإنشاءً من عدم.

ويلاحظ أيضا أنّ "طه حسين" لم يؤرخ للمقطوعات الشعرية التي قبلت في مرحلة الطفولة ويعلل ذلك بأنّ مثل تلك الأشعار لم يؤرخ لها القدماء ولا المحدثون، فهي ترد في نسخ

1 – محمد آيت لعميم، المتنبي الروح القلقة والترحال الابدي، مرجع سابق، ص:80.

الدواوين بدون تاريخ «وليس يعنينا أن نؤرخ بالدقة هذه المقطوعات فقد لا تكون السبل ميسرة إلى هدا التاريخ ، ولكن الشيء الذي نستطيع أن نحققه هو أن ثلاث خصال تظهر لنا في هذا الشعر »(1).

يحدد"طه حسين " شعرية المتنبي الصبي في ثلاث علامات أو خصال كما يسميها، ونحن نرى أنّ شغف التقييم في ذاته وإلى العدد ثلاثة خاصة مرّدة إلى تبنيه لمنهج "هيبوليت تين" الذي يعتمد على فكرة الثالوث في تقسيماته التاريخية.

يرى الدكتور أن المحدد الأول لشعر "المتنبي الصبي" هو التقليد الفني، ويشير إلى أنه يكون قد استفاد من شعر القدماء ومن شعر المعاصرين الذين سبقوه بوقت قصير «فالأصل في الابتداء الفني التقليد بحيث يقلد المبتدئ واحد أو غير واحد من الذين سبقوه في الفن الذي يزاوله»(2).

إن حكم "طه حسين" على شعر "المتنبي الصبي" بالتقليد الفني هو حكم لا محالة أنّه يحمل الشيء الكثير من الصحة فهو يميل إلى الاستدلال العقلي الذي يرى أن الأصل في الابتداء والتقليد.

هذه الفكرة تبدوا منطقية جدّا، لكننا إذا حاولنا الغوص فيها فإننا نجدها تحمل الكثير من المغالطات في حالة ما إذا سلمنا بها تسليما مطلقا،لذلك سنحاول أن نرد عليها من خلال طرح أسئلة موازية لفكرة التقليد ،ونحن نعتقد أنّ فكرة التقليد التي رمى بها "المتنبي الصبي" تشي بمحاولة التقليل من شأن شعرية "المتنبي" في تلك المرحلة.

1 – طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق، ص:30.

2 – طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق، ص:20.

وأول سؤال يتبادر إلى أذهاننا هو المدة الزمنية التي يمكن أن يقضيها المبتدئ في الشعر وهل يمكن أن نحدد الفترة الزمنية التي يجب أن يبقى فيها الشاعر مبتدءا؟ أم أن النبوغ والتفاوت لا يمكن أن نحصره في مدد زمنية؟ وما هو عدد القصائد التي يجب كتابتها حتى يتخطى الشاعر مرحلة البدء؟

ونحن نعلم أن التاريخ يحدثنا عن أصحاب القصائد الواحدة كالتي كتبها " مالك بن الريب" أو كتلك المقطوعة التي أنشدها " الخبز أرزي "، ويحدثنا التاريخ أيضا عن شعراء حازوا قصب السبق وهم في سن الزهور كحال " طرفة بن العبد " من القدامى ومثل " الشابي " من المتأخرين أما عن التقليد نفسه كآلية فيمكن للشاعر أن يستعين بها على ركوب الشعر فهي مسألة معقدة وتحتاج إلى كثير من البسط والتحليل ولقد لاحظنا تناقض "طه حسين" في طرح هذه المسالة في الحين التي يراها مَنقصة وعيبا في شعر أبي الطيب المتنبي فنجده قد رآها مرة ثانية بعد أن أرجع البصر خصلة وفضيلة عند الشعراء المُحدثين «لعل من الخير والحق أن ننصف الشعراء فنلاحظ أنهم كانو مضطرين إلى أن يتأثروا بالقديم أول الأمر، لأن هذا التأثر بالقديم في نفسه دليل على الحياة والقوة والقدرة على البقاء والجهاد»[1].

هذا ما يجعلنا نشك بقوة بان الدكتور طه حسين قد قرر منذ البداية أن يقلل من شأن شعرية المتنبي، يقنعنا بفكرة التقليد حتى يدفعنا أن نقر بأنّ لا مزية لهذا الشاعر ولا عبقرية ولا نبوغ.

أما الخصلة الثانية فيرى "طه حسين" أن شعر ذلك الصبي شعر متشيع للعلويين ومتأثر بآراء الشيعة وبآراء الغلاة منهم[2].

هاته الخصلة الثانية، وعلى الرغم أن "طه حسين" يقرها ويميل إليها إلا أننا لم نلاحظ ذلك الحماس الذي تظهره لغته وذلك النشاط الذي نلمسه حين يصدمنا بأفكاره غير معهودة وهذا

1 – حافظ وشوقي، مكتبة الخانجي القاهرة بدون تاريخ، ص: 11.

2 – ينظر: مع المتنبي، طه حسين ، مرجع سابق، ص:30.

يرجع في نظرنا إلى أن العميد قد سبق إلى هذه الفكرة وفاته أن يكون أبا بكرها لذلك وجدنا ذلك الفتور ونحن نقرأ تقديمه لهذه الفكرة. ومن المؤكد أن الأستاذ "شاكر" سبق الدكتور في الإشارة إلى علوية المتنبي وتشيعه وان جعل من علوية المتنبي عمود صورة لكتابه، ولقد ساق أدلة كثيرة لهذا الفر ض منها أن تكون أم المتنبي قد تزوجت برجل من العلويين، ولا جَرم أن يكون من كبارهم، ولأمر ما طلقها فرجعت إلى أم ها بجنينها أو طفلها و حزنت حزنا أهلكها، وبقي الطفل فكفلته جدته[1]. أما الشاهد الثاني على تشييع المتنبي فهو واضح للعيان ويمكن لأي باحث أن يُعمل عقله أن يستنتجه في بقاءه في بلاط الحمدانيين لمدة تفوق ثامن سنوات ومدحه سيف الدولة وجهاده معه كل هذا فيه من الإشارات ما يدل على عقيدة الرجل وتوجهه الديني " وعلى الرغم من أن ديوان المتنبي قد خلى من الشعر الشيعي الذي يتضمن مآثر أهل البيت وفضائله ورثائهم وقدح مُناوئيهم وغاصبيهم حقهم، كما هي عادة شعراء الشيعة إلا أننا نجد بصمات واضحة تدل على ولاء المتنبي وتشييعه"[2].

وتشير بعض المصادر نقلا عن "الواحدي" (في شرح ديوان المتنبي) ص(856)، إن معاصري المتنبي أحسوا بأن المتنبي لم يذكر علياً " فسأله بعضهم: لَمَ لم تذكر علياً فقال في ذلك بيتين تمثل في الحقيقة بطاقة التعريف الشيعية للمتنبي

وتَرَكتُ مَدحي للوَصّي تعَمداً ... إذ كان نُوراً مُستطيلاً شَامــــلاً

وإذا استقلَ الشيء قام بنفسه ... وصفاء ضوء الشمس يَذهب باطْلاً[3]

1 - محمد محمود شاكر، مرجع سابق، ص:181.

2 - منذر الخفاجي، مقال بعنوان: أثر الشييع في شعر المتنبي .http://www.hoclaonline.com/np27.09.2011

3 - المرجع نفسه.

أما الخصلة الثالثة فهي عمود الصورة ومحور الكتاب فالدعوة القرمطية وكلف المتنبي في سفك الدماء لازم كتاب " مع المتنبي" من بدا يته إلى ختامه، ولقد فصلنا هذه المسألة ووقنا عليها أكثر من مدة في الفصل المخصص لصورة المتنبي الشخصية.

أما الأمر الذي يمكن الإشارة إليه في هذه ا لمسألة يتلخص في قراءة شعر المتنبي الصبي وتأويله، فبعد أن قرر أن الصبي مقلد فقط، نراه يغير من رأيه وينثني أمام أبيات قالها على حداثة سنه

لا تُحسنُ الوفرةُ حتّى تُرى منشورةَ الضّفرين يوم القِتال

على فتىً مُعتقلٍ صَعدَة يَعلُما من كل وافي السِّبال

« ولعلك تلاحظ معي أن في هذين البيتين جزالة مطبوعة لا تلاحظها في الأبيات السابقة، وأنهما بريئان البراءة كلها من الصّنعة والتعمل »[1]، وهكذا نرى أن الدكتور "طه حسين" يقرأ شعر أبي الطيب كما يريد أن يقرأه، لا كما يجب أن يُقرأ وهذا من أجل الوصول إلى خطة رسمها منذ البداية، فمسألة قراءة النص وتفكيكه على النحو الذي يبتغيه ميزة تميز بها "طه حسين" والفضل في ذلك يرجع كما يقول عن نفسه إلى أستاذه" نالينيو" « إني مدين بحياتي العقلية كلها لهذين الأستاذين العظيمين: سيد بن علي المرصفي الذي كنت أسمع دروسه وجه النهار، و"كارولنالينيو" الذي كنت أسمع دروسه آخر النهار... وعلمني أحدهما الآخر كيف أستنبط الحقائق من هذا النص وكيف ألائم بينهما، وكيف أصوغها آخر الأمر علما، يقرؤونه فيفهمونه ويجدّون فيه فيصبح شيئاً ذا بال»[2].

1 – طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق، ص:34.

2 – طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق، ص: 108.

ثم إن التأثر بالصناعة اللفظية سمة يجعل منها "طه حسين" مثلبة عظيمة في شعر المتنبي فراح يقررها ويجمع الأدلة على سوئها والتنكر لها « وللصبي مقطوعة أخرى في الهجاء ليس لها حظ من الجودة ولا من البراعة في السخرية ولكنها تصور اتجاه الصبي إلى الصناعة اللفظية ... وكل ما في هذه الأبيات هو ابتهاج الصبي بأنه قد استطاع أن يستنبط هذا المعنى »[1].

بهذا الطرح نشعر أن "طه حسين" يعود بنا إلى العصر العباسي الذي أخذت فيه قضية الطبع والصنعة حصة الأسد. ويعود بنا إلى بدايات النقد العربي «وقد ذهبت مسألة الطبع والصّنعة تتنامى وتتعقد في العصر العباسي، لتصبح القطب الذي دارت عليه رحى معارك أدبية وموازنات، لعل من أشهرها الموازنة بين الطائيين؟ أبي تمام والبحتري»[2].

نلاحظ إذن أنَّ المعيار الذي استخدمه "طه حسين" في الحكم على شعرية المتنبي معيار قديم مختلف فيه، فهو بالنسبة للتحليل الأدبي عيار نسبي، وأن انتصاره للطبع يشبه كثيرا انتصار القدامى للشعراء المطبوعين وأن تفسيره للشعر لا يختلف عن تفسير الجاحظ الذي كان يرى فيه ميزة العربي صاحب البديهة والارتجال وإن كانت الخلفيات الحضارية والثقافية من أه م الروافد التي أسست جدلية "الطبع والصنعة " في ذلك الوقت فنحن لا نفهم الدوافع الأصيلة التي حدَّث بها الدكتور "طه حسين" أن ينهج هذا النهج في تحليل النص وأن يأخذ بعيار "الصنعة والطبع" كواحد من المقاييس التي يزن بها الشعر في العصر الحديث و أن يرجع من جديد إلى أدوات البلاغة القديمة والنقد القديم.

- واستكمالا لجملة الأحكام التي ساقها "طه حسين" في نقد شعر المتنبي نورد بعض القضايا النقدية التي خلص إليها الدكتور "محمد آيت لعميم" من خلال دراسته لكتاب " مع المتنبي" ولقد توصل إلى أن "طه حسين":

1 – نفس المرجع، ص: 36.

2 –بوعامر بوعلام، جدل الطبع والصنعة في النقد العربي القديم، دعوة إلى إعادة النظر، مجلة الواحات للبحوث والدراسات المجلد 7 العدد2، 2014.

- اعتمد على طريقة – حل المعقود- كأول خطوة لقراءة النص الشعري، وهذه الفكرية في نظرنا- توحي إلى أن طه حسين لا يفرق أو لا يهمه الفرق بين المعنى الشعري والمعنى النثري أو انه يراهما واحدا.

-الانتقال إلى الكشف عن الدوافع التي كانت وراء النص الشعري فيه بالنسبة إليه أهم من النص نفسه.

-أنَّ ما يتحكم في قراءة "طه حسين" هو إيمانه بالفصل بين ثنائية اللفظ والمعنى، فهو يعتقد أن الشاعر يعمَد إلى فكرة مسبقة ثم يفتش بعد ذلك عن القالب الشعري الذي يصوغها فيه.

-الاعتماد على الأبيات المفردة فهو يتناول البيت و البيتين أو المقطوعة الشعرية، كما يعتمد أيضا على تحليل الجزئيات فيقف عند اللفظة النابية، ويحدثنا عن استعصاء الوزن وكأنه يصف لنا طالب عروض لا شاعراً مفلقا، ويعتقد "آيت لعميم" أن هذا النوع من التعامل مع النصوص يعتبر نموذجا ينتمي لحقل الدراسات الكلاسيكية في النقد العربي القديم وهو يعكس سلبيات"طه حسين" في تقييم الشعر والحكم عليه.

-الأدوات المنهجية التي استعملها "طه حسين" في تحليل النص حالت بينه وبين إدراك خبايا النص وهذا راجع في نظره إلى رؤيته للنص الأدبي، فالنص عنده لا يدرس لذاته وإنما يدرس لاستخلاص الشواهد على صحة الفروض التي انطلق منها.

-يتسم حكم "طه حسين" بالانطباعية والتأثرية، وهو بذلك يركز على الواقع الذي يتركه النص في نفس المتلقي.

-إن هذه النتائج التي توصل إليها " آيت لعميم" تشير وبوضوح إلى عدم كفاءة "طه حسين" في قراءة النص الشعري، وان كل الأحكام التي أصدرها نابعة عن هواه الشخصي، وانطباعاته الذاتية وان هذه الأحكام النقدية تمثل جزء من تصوره للفكرة المسبقة التي اقرها في بداية كتابه والتي تلخصت في عدم إيثاره للمتنبي وانه لا يرى فيه ذلك الشاعر الكبير

الذي نتوهمه فبعد أن رسم لنا تلك الصورة المشوه ة لشخصية المتنبي واصل بكل ما أوتي من براعة فنية الحط من شأن ذلك الشاعر العظيم، ولقد ساعدته في ذلك لغته الفنية المراوغة.

وبما أن مفهوم التطور الفني مرتبط عند "طه حسين" بعنصري البيئة والزمان، وان التغيير والتنوع الأدبي يعتبر نتيجة من نتائج تفاعل الفرد مع هذين العنصرين، لذلك ذهب "طه حسين" إلى فكره تقسيم شعر المتنبي إلى أطوار تاريخية فبعد مرحلة الطفولة الغامضة وشعره في الكوفة تأتي المرحلة الثانية حيث انتقل أبو الطيب إلى بغداد، فما هي الخصائص الفنية التي طرأت على شعره في هذه المرحلة الجديدة؟

يرى "طه حسين" أن المتنبي بدأ حياته الشعرية بمدح أول رجل رسمي وهو "محمد بن عبد الله العلوي" بالقصيدة التي مطلعها:

أهلا بدار سباك أغيَدُها أبعد ما بان عنك خُرَّدها[1]

وبعد أن ساق القصيدة كاملة والتي تجاوزت الأربعين بيتا قرر أن هذه القصيدة تعتبر النموذج الأعلى لشعر المتنبي لأنها تحتوي على خصلتين فنيتين " وستكونان دائما – القوام الفني لشعر المتنبي يسرف فيهما أحيانا فيفسد شعره ويقتصد فيهما أحيانا فيجمل شعره"[2].

أما الخصلة الأولى فهي المطابقة، والمقابلة بين المعاني المتضادة فالمقابلة هي لعبته التي يحبها وهي الميزة الرئيسية في شعره فهي التي تكسبه فنونا من الجمال وأنها تؤثر في العقل وفي الذوق وفي الحسن جميعا.

والخصلة الثانية فهي مرتبطة بطبيعة المتنبي ونفسيته، تلك النفسية التي تميل إلى الغلو والإسراف، ولا يصلح للتعبير عن هذا الغلو والإسراف إلاّ المبالغة لذلك جاءت سمة ثانية محددة لشعره "

1 – طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق، ص:41.

2 – طه حسين، مع المتنبي، المرجع نفسه، ص:43.

فالمتنبي" عاشق لمذهب المبالغة الذي أشاعه نقاد ذلك العصر « فجمال الشعر عند المتنبي في هذا الطور وفي الأطوار كلها راجع دائما إلى هاتين الخصلتين»[1].

يرى "آيت لعميم " أن هذه الأحكام التي أصدرها " طه حسين"، على شعر هذه المرحلة أنها تستجيب للتصور الذي يبني عليه التاريخ الأدبي حيث تتسم المراحل الأولى بالتقليد، وأن التقليد ينفي شخصية الفنان، ومفهوم الشخصية واحد من أهم المحددات لجودة الشعر" فهو يحدد جودة الشعر بمدى تمثيله لشخصية صاحبه"[2].

ونحن نعتقد أن مثل هذا النوع من الفهم والتحليل يُزري بقيمة النص الفنية فهو تقييم يبحث عن السياق الخارجي للنص ولا يهتم بالخطاب الشعري، وأن "طه حسين" يحاول إثبات صح ة منهجه ولو على حساب جمال النص.

لا يختلف شعر أبي الطيب في الشام عن شعره الذي قاله في صباه فتقليد القدماء وعلى الخصوص طريقة أبي تمام كانت السمة التي طبعت شعره واعتماد ه على ظاهرة المطابقة والمبالغة تبقى أيضا من جملة الخصائص الفنية الملازمة لشعره، هذا ما قرره "طه حسين" عن شعر هذه المرحلة ليستدرك عليه هذه الأحكام ببعض ما عرف عن المتنبي من نمو في ألفاظه وفي معانيه وأساليبه وأن مَلكَته الفنية تقدمت نحو النضج والرشد.

-ومع ذلك فإن روح التحامل على المتنبي تبقى واضحة جلية ونراه يسعى حثيثا إلى الكشف عن مساوئ المتنبي كفعل سابقيه معتمدا هذه المرة على ما جاء في الصبح المنبي ص(79) وص(80) " ونلاحظ أنّه في هذه القصائد الثلاث لم يذكر البحتري الشاعر جد ممدوحيه و لم

1 - نفس المرجع، ص:44.

2 - محمد آيت لعميم، المتنبي الروح القلقة والترحال الأبدي، مرجع سابق، ص:87.

يشر إليه، ولعل هذا ما يلائم ما كان معروفا عن المتنبي من الإمعان في قراءة شعر المحدثين وأدب البلغاء، والادعاء مع ذلك أنه لا يقرؤهما ولا يحسن العلم بهما حتى افتضح ذلك"[1].

وإلى جانب التقليد والمطابقة والمبالغة يضيف " طه حسين" ظاهرة أخرى، أو بالأحرى عيباً آخر تكلفه المتنبي في هذه المرحلة وهي ظاهرة ا خ تص بها جماعة من الشعراء ذلك العصر و لم يسلم منها المتنبي والتي تمثلت في ظاهرة تكلف القوافي، ويعود في هذا التحليل إلى الموازنة بين المطبوعين وبين أصحاب الصَّنعة مرة أخرى" فكافي يته في مدح " البحتري" ودالية في مدح " مساور بن محمد الرومي" تدلان على أن الفتى كان أخذ نفسه بشي من الشدة ليظهر شيئا من البراعة في اصطناع القوافي، والقدرة على استذلالها"[2].

يعتبر " آيت لعميم " قراءة الدكتور قراءة تقليدية في مجملها تعتمد على الذوق " ولكي يتعرف على أصول فن المتنبي اعتمد منهجه على –الذوق–، فطبقه على إحدى قصائد هذا الطور وقدم قراءة تقليدية تعتمد على وحدة البيت الشعري، والوقوف على المعاني الجزئية والمقارنة"[3].

ونحن نعتقد أن الاعتماد على منهج الذوق وان كان لا يشير إلى أنه أول من قال به إلا أنه يخبئ في ثنايا الكلام إشارة إلى "محمود شاكر" الذي اعتمد على استنباط المعاني وقراءتها في ظل سياقها التاريخي والثقافي على أن هذا النوع من القراءة الفاحصة كان معروفا عند أرباب النقد القديم، وهذا الصاحب بن عباد يروي " من أحسن ما قيل في انتقاد الأشعار ما أنشدني أبو الحسن علي ابن هارون المنجم قال: أنشدني عمي أبو أحمد يحي بن علي النديم لنفسه:

1 – طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق، ص:52.

2– المرجع نفسه، ص:45.

3 – محمد آيت لعميم، المتنبي الروح القلقة والترحال الأبدي، مرجع سابق، ص:89.

رُبَّ شِعر نقدته مثلما ينـ قدُ رأسُ الصَيارفِ الدينـار
ثم أرسلته فكانت معانيـ ـه وألفاظُه معا أبكـــارا
لو تأتي لقالة الشعر ما أس قط منه حلو بــه الأشعـارا
إنّ خير الكلام ما يستعيرالنّـ ـاس منه ولم يكن مستعارا[1]

وإلى جانب الموازنات والمقارنات التي أكثر من استخدامها الدكتور" طه حسين" في تحليل النص الشعر اعتمد على مصطلح الصدق العاطفي " وهل ترى غناء أصدق... ولكن صدق لهجة الشاعر"[2]. ونراه يطعن أيضا في معاني "المتنبي"، فهي ليست شيئا ولا طرافة فيها ولا جديد. ونحن نرى أنما مقولة الصدق العاطفي عند "طه حسين" ما هي إلا وجه من وجوه "الطبع" أعاد استخدامها في لفظ جديد وتبقى قضية المعاني من أهم القضايا الإشكالية في النقد العربي لذلك نعتقد أن مسألة التجديد في المعاني الشعرية لا تطرح بالشكل الذي ذهب إليه ففي- نظرنا –أن كل المعاني الشعرية هي معاني جديدة باعتبار القالب الذي سكبت فيه وباعتبار الحال الذي قيلت فيه، أما الخطأ والإصابة في المعنى وقولهم بان العربي لا يخط ئ. فإننا نميل إلى رأي " أحمد تيمور" الذي يؤكد بان " العربي لا يخطئ فالمراد لا يخطئ في اللفظ للملكة اللسانية الراسخة فيه، وأن في المعاني فلم يقل أحد بعصمة جنانه، كما قالوا بعصمة لسانه"[3].

1 – الصاحب أبو القاسم اسماعيل بن عباد، الكشف عن مساوئ المتنبي، مرجع سابق، ص:33.

2 – طه حسين، مرجع سابق، ص:61.

3 – احمد تيمور باشا، أوهام شعراء العرب في المعاني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة، 2012، ص: 30.

3-3 نقد الأغراض الشعرية:

يركز " طه حسين" على موضوع القصيدة ويرى بأن للفن مهمة تترفع عن صغائر الأمور وسفاسفها فالأديب في نظر ه من يلتزم بقضايا أمته والقضايا العظيمة أما دون ذلك فهو السخف لا غير" أنا لا نجد المتنبي في هذا الشعر الذي قاله في طرابلس فارغا لصغائر الأمور فحسب، بل لصغائر الفن وسخفه أيضا" [1]. وهو بهذا يصدر عن سلطة المنهج التاريخي أولا، ويستجيب لظروف ووقائع الأمة العربية في عصر ثاني.

ونحن نميل إلى الرأي الذي يقول بأن لا موضوع للشعر إلا الشعر نفسه وأنّ المزية في الشعر لا تتحدد بقيمة الموضوع المتناول بل المزية كلها في طريقة القول والقدرة على التصوير والتفرد في الإبداع.

هذا الفصل الذي يجعله الدكتور بين الشكل والمضمون في الحكم على النصوص نعتبره نقطة ضعف في تقييم القصائد ونقدها، وأن هذا العيار لا يصلح أن يكون قياسا لمعرفة جيد الشعر من رديئه، وان كان يصلح في تحديد وتصوير الشخوص و الواقع.

3-4 الفخر:

يرى "طه حسين" أن فخر المتنبي نابع أساسا من شعوره بالضعة والدونية وأن ذلك الكلام الذي يظهره في شعره وذلك الإعجاب بالنفس ما هو إلا تعويض نفسي لما يشعر به من عيب وشذوذ " رأى نفسه شاذا لأمر ليس له علي سلطان، ففكر تفكير الشاذ وعاش عيشة الشاذ" [2].

ويرى بعض الباحثين الذين اهتموا بدراسة المتنبي دراسة نفسية من خلال شعره أن فخره يتحدد بثلاث علامات فارقة هي:

1 – طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق، ص:69.

2 – طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق، ص:19.

3-4-1 الاعتداد بالنفس: في شعر المتنبي صورة حسية ولفظية تعكس أركانها مهمة من أركان شخصية المتنبي، إذ انه يتبدى لنفسه من خلال رغبته في أن يراه الآخرون كما يشاء هو أولا.

3-4-2 النرجسية: وتعني الإفراط في حب الذات ذلك الحب الذي يأخذ بحياة الفرد من جميع أقطارها فيغدو لا يرى إلا ما يتصل بحياته حب منه لفرديته، بيد أن من النرجسية ما يمكن أن يطلق عليه بالنرجسية الصحية، وتقترن باحترام الذات والترفع عما يزري بالنفس وهذا جانب نراه ونجده واضحا في شعر المتنبي.

3-4-3الغرور:

وهو رضا عن الذات مبالغ فيه، وغرور المتنبي هو شعور نفس تواقة إلى المجد، وشعور رجل لم يصنفه الزمن فارا دان يتحد ذلك الزمان فجاء بشعره متمردا على تلك القسوة[1].

أما الملاحظة الثانية التي يمكن أن نستخلصها من فخر المتنبي بنفسه لم يخص قصيدة واحدة مستقلة لهذا الموضوع، وإنما نجد شعره مبثوثا في الأغراض الأخرى كالمديح والرثاء، فنراه يقحم نفسه في القصائد كلها" وهو لا يستطيع أن يمدح دون أن يفتخر بنفسه وكأنه لا يمدح أو يرثي أو يهجو إلا ليرسم فخره، وهو لا يرفع السادة إلا ليتفوق عليهم، يقول في مدح محمد ابن سيار التميمي:

فلما رآني مقبــلا هزَّ نفسـه إليَّ حســام كل صفح له حدُّ

فلم أرى قبلي من مشى البحر نحوه ولا رَجُلاً قامت تعــانقه الأسدُ[2]

1 – ياسر ياسين حباب، دراسة نفسية للمتنبي من خلال شعره، دار البيداء للنشر الالكتروني بيروت، 2013، ص:14-15-27.

2 – رولا خالد محمد غانم، الآخر في شعر المتنبي، جامعة النجاح الوطنية النابلس، فلسطين 2010، ص: 09-10-11.

3-5 أدب السجون:

يرى " طه حسين" أن ديوان المتنبي لم يحفظ لنا من الشعر الذي قاله في سجنه، ويميل إلى انه ولأمر ما أراد أبو الطيب أن لا يثبت هذا الشعر وان لا يحرص على إثباته ويذهب به الشك إلى أن المحذوف من شعره ينطوي على حقيقة المتنبي القرمطية وميولاته العقديّ ويقسمه إلى قسمين:

1- هجائه للهاشمي الذي قيده وأسلمه إلى جند السلطان.

2- أبيات قالها لرجل يعرف بأبي الدلف برّه في السجن وكان يغري به السلطان.

نرى أن " طه حسين" لا يقدم أي تحليل أدبي لهذه النصوص التي قبلت في السجن بل يذهب إلى وصف الشاعر فقط " فهو كما ترى ذليل مستك ين، يذكر غربته وو جدته النائية..." [1] و يتهمه بالذلة والاستكانة ويه مل انكسار الإنسان الذي يسكن بين جوانب المتنبي" فالسجن بالنسبة للشاعر يشكل صراعا بين الحياة والموت، لأنه قيد لا يستطيع معه ممارسة طقوس الحياة وإنما يعيش فيه حياة العذاب والمعاناة... فالسجن عند المتنبي لا يقلل من شأنه، فهو كالدر لا يقلل وجوده في الصدق من قيمته"[2].

1 – طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق، ص: 89.

2 – أمل طاهر محمد نصير، الانكسار في شعر المتنبي– مقاربة نصية ، مجلة الجامعة الإسلامية، عمان – الأردن، العدد2 يوليو 2006.

3-5 السَّيفِيات:

على غير عادة يقر " طه حسين" بجودة شعر المتنبي الذي قاله في سيف الدولة وأنه يمتاز بالكثرة وانه شعر مختلف الأنواع والفنون وهذا لان سيف الدولة شغل المتنبي بنفسه عن كل شي وانه انقطع له مدة تفوق ثمانية سنين ومع ذلك يرجع إلى ذم الشاعر على الرغم من جودة شعره " فهذا كله يدلنا على أن المتنبي يتخذ الشعر وسيلة لا غاية، وعلى انه كان عبدا للطمع والمال لا للجمال والفن"[1].

ومن جملة الملاحظات التي استخلصها "طه حسين" في مدائح المتنبي لسيف الدولة ما يلي:

- أن المتنبي وقّف شعره على سيف الدولة طوال المدة التي قضاها معه حتى أصبح الموضوع الوحيد والأساسي للمعنى هو سيف الدولة نفسه.

- أن المتنبي استطاع أن يطور فنا جديدا ألا وهو وصف الجهاد بين المسلمين والروم.

- ظهور شخصية المتنبي وبصمته في قول الشعر.

يرد "مارون عبود" على التهم التي ألصقها الدكتور "طه حسين" "بالمتنبي" والتي تمثلت في حبه للمال وعبوديته لسيف لدولة "فسرعان ما يرجع "طه حسين" عما قاله وهذه مصيبتي به في هذا الكتاب فكأنه لا يهتم إلا بنفخه كما يفعل الزيَّات بالزِق فينتقض ما أبرم بقوله :"فما نفقده من حرية المتنبي في فرع تعوِّضه علينا عبودية المتنبي لسيف الدولة ، إن صح هذا التعبير وإن لم يصح ،فالعبودية لا تصلح للمتنبي بحال، فمن لم يكن عبدا لربه لا يستعبده البشر"[2].

1 –طه حسين ، مع المتنبي، مرجع سابق، ص: 148.

2 – مارون عبود، الرؤوس ، مرجع سابق، ص:169.

إن هذه العبارة الأخيرة من مارون عبود تدخلنا في حيرة أكثر من الحيرة التي أدخلنا فيها "طه حسين" ، فهل يقصد مارون عبود أن المتنبي لم يكن عبدا لله، وأنه يرفض العبودية للخالق كما يرفضها للمخلوق؟

3-6 الكافوريات:

يلخص "طه حسين" قضية المتنبي مع كافور في أنها تمثلت في نوع من تبادل المصالح ،ويتهم المتنبي على الخصوص بأنه كان يطلب أكثر من حقه وكان عليه أن يكتفي بأن يأخذ عطائه مالا مثله مثل باقي الشعراء وأن كافور سياسي لبق"وأن شاعراً يبيع المرح والثناء بالدراهم والدنانير فاشترى منه المرح والثناء بالدراهم والدنانير ،ورآه أحمق يجهل قدر نفسه ، فجاراه في هذا الحمق" [1].

ويرى أيضا أن المتنبي في أشعاره لكافور، لم يكن يمد ح كافورا وحده وإنما كان يقسم شعره بين ثلاثة أشخاص أولهم المتنبي نفسه ،والثاني كافور ، والثالث سيف الدولة .

أما القضية المهمة التي يثيرها " طه حسين " في مدائح المتنبي لكافور هي قضية التعريض في تلك المدائح، فهو ينفي تماما أن يكون المتنبي قد عرَّض بكافور ودليله في ذلك أن المتنبي هو الذي أوعز بذلك التعريض حين راح يشيع بين الناس تفسير أشعاره التي قالها في كافور، وأن هؤلاء الشُرَّاح الذين سمعوا من المتنبي هذا الكلام تأثروا به وأذاعوه في شروحاتهم.

ويرى أحد الباحثين "أنَّ المتنبي كان فعلاً يعرض بكافور ومدائحه وأن أسلوبه في تلك المدائح الكافورية يتحدد في الخصوصيات التالية :

1 - طه حسين، مرجع سابق، ص:245.

1-تعريض المتنبي بكافور هو تنفيس عن الكبت والانتقام غير مباشر.

2- تعريض المتنبي بكافور يمثل فيه كافور المتلقي نفسه وبشكل مباشر .

3-تعريض المتنبي بكافور محكوم عليه أن يقدّم في شكل مدائح أي النقيض –تقريبا –وهذا ما يحتاج إلى مهارة خاصة»[1].

3-7 شعر الوصف :

يعود "طه حسين "في تحديد جودة الشعر وتنميته إلى دور البيئة ، وما لها من أثر كبير في تنمية ملكة الشاعر لذلك قرر بأن الشعر الذي قاله في شيراز كان من أجود شعره في الوصف « وما أتردد في الجهد بأنَّ المتنبي لو أطال الإقامة في فارس والاستمتاع بما كان يستمتع به فيها من الخفض والأمن والنعيم لتغير مذهبه الشعري تغيراً قوياً جداً»[2].

ونحن نرى بأن هذا الاستدلال استدلال غير منطقي ويمكن أن يهدم بسؤال واحد حول هؤلاء الشعراء الذين عاشوا أو قضوا اغلب حياتهم في فارس و لم يتطور شعرهم إلى المستوى الذي بلغه شعر أبي الطيب بعيداً عن فارس نفسها .

يعلق "مارون عبود" على إعجاب "طه حسين " بوصف "بوان"، وبشعره الشيرازي « وهو لا يقف عند هذا الحد بل يقول شيئاً كثيراً في شعر المتنبي الشيرازي ولكنك تخرج منه كما قالت تلك البدوية في علكة لم تمضغها ما فيها غير تعب الأضراس وخيبة الحنجرة »[3].

1 -ابراهيم صالحي ، التعريض في مدائح المتنبي الكافورية ، دراسة في الأسلوب والدلالة ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات واللغة العربية جامعة محمد خيضر بسكرة 2009/2008.

2 - طه حسين، مع المتنبي، مرجع سابق، ص:310.

3 - مارون عبود، الرؤوس، مرجع سابق، ص: 199.

وفي ختام هذا المبحث تخلص إلى أن المتنبي في عيون "طه حسين" شاعر كغيره من الشعراء، أو أقل من غيره ، فهو مقلّد في صباه يلوذ بالصّناعة اللفظية ويهتم بالمطابقة والمبالغة ، وأنه فوق كل هذا وذاك لا يصدر في شعره عن روح شاعرة بل دافعه في ذلك هو حرصه وحبه للمال فقط.

4- بعد الفراغ:

كتبت خاتمة كتاب: "مع المتنبي " بعد انقضاء أشهر من إملائه لهذا الكتاب ويتوهم القارئ لها في البداية بأن "طه حسين" ينقض ما كتبه كله، فهو يصف ما كتبه بأنه لهو وعبث، وإنه اضطر اضطرارا – بعد أن مضى في الكتابة- إلى محاولة البحث و التحقيق وبعد كل ذلك الجهد يقرر عميد الأدب ما نصه « وإنما أريد أن ألاحظ أن هذا الكتاب إن صور شيئا فهو خليق أن يصورني أنا في بعض لحظات الحياة، أثناء الصيف الماضي»[1].

كنا قد علقنا في بداية المذكرة وتحديدا في المبحث الذي خصصناه لتأثير المنهج في نقد " طه حسين" على أنه هذه الفقرة دالة على تبني "طه حسين" للمنهج التأثيري، إلا أننا وجدنا من الباحثين ما رأى أن الدكتور يذهب إلى أبعد من ذلك فهو يدعو إلى فتح آفاق جديدة للقراءة « ويبدو " طه حسين" في ختام كتابه متشككا في المقصود نفسه من الوصول إلى معنى نص ما، على نحو ما شعر به مؤلفه منذ عشرة قرون، وذلك عند ما يؤكد أن استجاباته نفسها للنص نفسه تختلف من لحظة إلى لحظة، وهو يختم كلامه قائلا إننا عبيد اللحظات» [2].

هل يمكن أن نُؤول كلام " طه حسين" على أنه فعلا كان يدعو إلى التأصيل لنظرية معاصرة وأنه كان يؤسس لمفاهيم التلقي الحديثة؟ أم أنه كان يعبر تعبيراً مباشرا عن مذهبه التأثري فقط؟

1 – طه حسين، مرجع سابق، ص: 315.

2 – داستن كاول، تر.عز الدين اسماعيل، منهجية طه حسين في نقد أشعار المتنبي، مرجع سابق، ص:21.

أما "مارون عبود" فيرى بأن اعتذار "طه حسين" يرجع إلى حقيقة مفادها أنه عرف وأدرك تقصيره في الحكم على فن المتنبي لذلك راح يعتذر ذلك الاعتذار ويلوم نفسه ذلك اللوم" أن الأستاذ الجليل " طه حسين" بِكَ أقدر على تأريخ الأدب منه على نقده[1].

1 – مارون عبود، مرجع سابق، ص:302.

خاتمة

لقد سعينا جاهدين في هذا البحث المتواضع أن نميط اللثام عن الصورة التي رسمها "طه حسين" للمتنبي إنسانا وشاعرا ولا نكتم سرا إذا قلنا بأن تلك الصورة الجديدة صورة مخيفة وسيئة تخالف ما كان حاصلا في أذهاننا عن أضخم رأس عرفه الشعر العربي، ولو فرضنا جدلا أن المتنبي قرأ فصول كتاب "طه حسين" ورأى صورته بين صفحات " مع المتنبي" لفزع فزعا شديدا ولولى منها فرارا.

كانت رحلتنا مع طه حسين ومتنبيه رحلة جميلة بالفعل وممتعة حقا على الرغم مما صنعه "طه حسين" بنا في بعض منعرجات الرحلة، فلقد كان يحاول بين الفينة والفينة أن يصدم خيالنا وأن يكسر معارفنا، وأن يشكك في وعيينا وذوقنا معا.

فالحق نقول أنه عبث بنا لا بالمتنبي فهو الناقد الانطباعي والتأثري وحكمه تعبير عن إحساسات ومشاعر جاشت بها نفسه، ومن منا يملك الحق في محاكمة مشاعر غيره؟

إذن فمشاعر "طه حسين " أرادت أن يكون المتنبي كما يريد هو أن يكون فرآه رجلاً كغيره من الرجال وصفاته غير تلك التي كانت تتبادر إلى أذهاننا كلما ذكر اسمه، وإذا أردنا أن نجمع ما فرقه "طه حسين" في كتابه" مع المتنبي" فإننا نخلص إلى صورتين الأولى متعلقة بصورة " أبي الطيب" الإنسان وسيرته، وتتعلق الثانية بصورة المتنبي الشاعر وشعريته وسنحاول أن نلخص تلك الملامح والمعالم المحددة لشخصيته وشعرتيه في مجموعه من النقاط.

أ-شخصيته وسيرته:

1-مجهول النسب، لا يعرف اسم أبيه ولا اسم جده، نما وترعرع في حضن امرأة عجوز كان يعتبرها جدته وأمه.

2-شاذ في صباه يلاحقه ذلك الشذوذ، يتصرف تصرف الشاذ ويعيش عيشته.

3-علوي المذهب وشيعي ومن الغلاة تارة أخرى، مستهزئ بالدين ولا دين له في كثير من الأحيان.

4- اشتراكي ثوري وداعية من دعاة القرامطة، يميل إلى العنف وحب سفك الدماء.

5-أعرابي، جلف، غليظ الطبع، ثقيل الروح والمزاج، لا دماثة في أخلاقه ولا يصلح لمنادمة الملوك.

6-نرجسي، مغرور، متغطرس، متكبر يرى نفسه فوق الناس جميعا.

7-منافق يتنكر للصديق قبل العدو، غير مأمون الجانب.

8- بخيل، حريص على جمع المال واكتنازه.

9- جريء على الدين، يساوي نفسه بالأنبياء.

10- يحب نفسه ويبغض الناس ويحتقرهم.

11-غبي لا يتعظ من أخطائه .

هذا وغيره كثير مما يصعب جمعه في مثل هذا المقام، أما عن شعريته فهي نتيجة وتحصيل حاصل لشخصيته المضطربة فالنظرة المرآوية عند "طه حسين" تجبره على أن يعكس شعرا المتنبي على شخصيته.

ب- شعر المتنبي:

1-شعره الأول عبارة عن صدى وتقليد لمن سبقوه من الشعراء أتباع الصّنعة اللفظية، ويعتبر على الخصوص مقلدا بارعا لأبي تمام.

2- فيه الكثير من السخف والإقذاع، وفيه الكثير من الإسفاف والميل إلى العتمية والغموض.

3- يسعى إلى المال لا إلى الفن، فالشعر عنده وسيلة لا غاية.

4- يمثل صورة الشاعر المداح الذي يبيع شعره في سوق الكساد.

5-ينطوي شعره كاملا على خصلتين فقط:

-المطابقة.

-المبالغة.

6- يتكلف القوافي الصعبة ويميل إلى الحشو والغريب.

7- يستعصي عليه الوزن لذلك يقحم بعض الألفاظ إقحاما.

8- أن شعره مليء بالحزن والمرارة وشكوى الزمان.

9-أغلب شعره الجيد قاله في سيف الدولة وخصوصا في الفن الذي طوره " وصف الجهاد بين المسلمين والروم".

10-اعتبر شعره الشيرازي من اجل الشعر وهذا راجع لتأثير الطبيعة الفارسية.

هكذا رأى " طه حسين" عميد الأدب العربي شاعره، وهكذا صوره لنا في كتاب يجمع بين التاريخ والفن وبين السيرة والشعر كتاب يصور قسوة الحاضر وقلق المستقبل الذي نرنوا إليه، وبعد هذه الرحلة الممتعة مع "طه حسين" و " المتنبي"، نقول بأننا لم نستطع أن نلمّ بكل جوانب البحث وتبقى الكثير من الأسئلة تحاصر عملنا هذا، وأننا في نفس الوقت لم نستطع الإجابة إجابة كاملة وافية عن السؤال الذي طرحناه في بداية البحث والذي يتعلق بصورة المتنبي والخلفيات المؤسسة لها عند " طه حسين".

المصادر والمراجع

1- المصادر:

- أبو منصور عبد الملك بن محمد إسماعيل الثعالبي النيسابوري، تح: محمد محي الدين عبد المجيد، أبو الطيب المتنبي ماله وما عليه، مطبعة مجازي القاهرة.

- الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد تح الشيخ محمد حسين آل ياسين، الكشف عن مساوئ المتنبي، مكتبة النهضة بغداد، 1965.

-الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد تح الشيخ محمد حسين آل ياسين، الأمثال السائرة من شعر المتنبي والروزنامجة، مكتبة النهضة بغداد –بدون تاريخ-.

2- المراجع:

- إبراهيم عوض، معركة الشعراء الجاهلي بين الرافعي و طه حسين، منتدى سور الأزبكية، ط1 ،1987

- أحمد أوحسن، الخطاب النقدي عند طه حسين، نقلا عن كتاب المتنبي، الروح القلقة والترحال الأبدي، محمد آيت لعميم، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط2010.

- احمد تيمور باشا، أوهام شعراء العرب في المعاني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة، 2012.

- أنور الجندي، محاكمة فكر طه حسين، دار الاعتصام بدون تاريخ.

- أنور الجندي، هل غير الدكتور طه حسين آراءه، في السنوات الأخيرة، دار الاعتصام.

- جابر عصفور، دراسات أدبية، المرايا المتجاورة، دراسة في نقد طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1993.

- جابر عصفور، قراءة التراث النقدي، مؤسسة عيبال للدراسات والنشر ، ط1، 1991.

- حسن الواد، تأريخ الأدب، مفاهيم و مناهج، المؤسسة العربية للدراسات و النشر بيروت ط 2، 1993

- حضور الآخر في كتابات طه حسين، مجلة المختبر، في اللغة والأدب الجزائري جامعة بسكرة.

- ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام، الدكتور عبد الوهاب عزام، شركة نرابغ الفكر،ط1، 2013.

ـ رشيدة مهران، طه حسين بين السيرة والترجمة الذاتية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ط1، 1979.

- رولا خالد محمد غانم، الآخر في شعر المتنبي، جامعة النجاح الوطنية النابلس، فلسطين 2010.

- شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ، ط 9.

- طه حسين، فصول في الأدب والنقد، مطبعة هنداوي، القاهرة بدون تاريخ
- طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، دار المعارف للطباعة و النشر، تونس، 2001 .
- طه حسين، مع المتنبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012 .
- طه حسين، من بعيد، دار العلم للملايين، بيروت، ط 9 ، 1982.
- طه حسين، والفكر الإستشراقي، لم نرجع إلى كتاب الأيام، واكتفينا بنقل هذا الكلام من كتاب، محاكمة فكر طه حسين.
- عبد الرحمان البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة، 2012.
- عبد السلام المسدي، قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، دار سعاد صباح، القاهرة، ط 4، 1992.
- عبد العزيز الدسوقي، في عالم المتنبي، دار الشروق بيروت، ط2، 1988.
- عبد الغني الملاح، المتنبي يسترد أباه، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980.
- عبد الوهاب عزام ، ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام، شركة نوابغ الفكر، ط الأولى، 1434 – 2013.
- عز الدين إسماعيل، قراءة جديدة لتراثنا النقدي، النادي الثقافي جدة، 1990.
- علي بن ابراهيم حمد النملة، المستشرقون ونشر التراث، ، الرياض 2003.
- غالي شكري، النهضة و السقوط في الفكر المصري، دار الطبعة بيروت، فبراري 1982 ط 2.
- كتاب أسرار العداوة بين " طه حسين " و " المتنبي " .
- لطفي جمعة، الشهاب الراصد، مطبعة المقتطف، مصر، ط 1 1926.
- محمد أحمد فرج عطية، طه حسين و الفكر الإستشراقي.
- محمد أحمد فرج عطية، طه حسين و الفكر الإستشراقي، وزارة الأوقاف، قطر، ط 1، 2014 .
- محمد آيت لعميم، المتنبي، الروح القلقة و الترحال الأبدي، المطبعة و الوراقة الوطنية، مراكش، ط 1، 2010.
- محمد لطفي جمعة، الشهاب الراصد، المقتطف، المقطم مصر، ط 1926.
- محمد محمود شاكر، المتنبي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، مطبعة المدني، 1987.
- محمد مندور، معارك أدبية، دار النهضة، مصر للطباعة و النشر، القاهرة، بدون تاريخ.

- محمود مهدي الإستنبولي، طه حسين في ميزان العلماء، المكتب الإسلامي بيروت ط 1، 1983 .

- ياسر ياسين حباب، دراسة نفسية للمتنبي من خلال شعره، دار البيداء للنشر الالكتروني بيروت، 2013.

- يحيى وهيب الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي، بين الشك والتوثيق، دار العرب الإسلامي، 1997 ط1.

-أبو منصور عبد المالك الثعالبي النيسابوري، أبو الطيب المتنبي وأخباره ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط2، 1925.

-ثائر زيد الدين، أبو الطيب المتنبي في الشعر المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1995.

-حسين الواد، في تأريخ الأدب، مفاهيم ومناهج، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط 2، 1993.

-ربيعة محمد حيدر، حركة نقد الشعر في مصر مابين (1900 -1939) بيروت، 1985.

-محمد بن شريفة، أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة، دار الغرب الإسلامي بيروت ، ط01، 1986.

-محمود شاكر، المتنبي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، مطبعة المدني، 1987 م.

3- كتب أجنبية:

- أنريك أندرسون أمبرت تر : الطاهر احمد مكي، مناهج النقد الأدبي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1991.

- داستن كاول تر: عز الين إسماعيل، منهجية طه حسين في نقد أشعار المتنبي، نوافذ سبتمبر 2001 .

- قولن بتريش فيشر، تر: سعيد حسن بحيري، دراسات في العربية، المجموعة من المستشرقين المعاصرين، مكتبة الآداب، القاهرة، المقدمة.

- لويس ماسينيون، تر وتع: ودراسة ابراهيم عوض ، المتنبي بإزاء القرن الإسماعيلي، منتدى سور الأزبكية، ط1988.

4- المجلات والدوريات:

- أمل طاهر محمد نصير، الانكسار في شعر المتنبي- مقاربة نصية ، مجلة الجامعة الإسلامية، عمان – الأردن، العدد 2 يوليو 2006.
- حضور الأخر في كتابات طه حسين، مجلة المخبر، العدد التاسع 2013 .
- مجلة الرسالة العدد، 21بتاريخ 15-11-1933.
- مجلة المختبر، أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، جامعة بسكرة الجزائر، العدد التاسع – 2013.
- مجلة المغرب الجديدة لسان حال المثقفين المغاربة، فبراير – مارس 1936 العددان التاسع و العاشر .
- محمد حسين هيكل، سر الاحتفال بالمتنبي، مجلة الهلال أغسطس 1935 .
- نجم مجيد علي، تعليقات الوحيد الأزدي على شرح ديوان أبي الطيب المتبي المسمى (الفُسر) ، ، مجلة الأدب العدد 59، almaarifa.com
- هادي أركون ، طه حسين ونقد المسلمات التراثية، مجلة الحوار المتمدن، العدد 5020 بتاريخ 2015.12.21
-مجلة المغرب الجديد، لسان حال المثقفين، المغاربة، فبراير – مارس 1636 العددان التاسع والعاشر .

5- الأطروحات والمذكرات:

-ابراهيم صالحي ، التعريض في مدائح المتنبي الكافورية ، دراسة في الأسلوب والدلالة ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات واللغة العربية جامعة محمد خيضر بسكرة 2009/2008.
-محمد بن يحي بن مفرح آل عجيم، صورة سيف الدولة في شعر أبي فراس الحمداني، دراسة موضوعية وفنية، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

5- المواقع الالكترونية:

- أحمد دعدوش، طه حسين بين التجديد و التغريب، الكترونيا في يناير 2011، www. Nashir .net
-الرابط : - مجلة العام الثقافي. www.alalam.com
- تلقي الشعر العربي الحديث لصورة كافور الإخشيدي www.pdffactorv.com
- طه حسين و رسالة التنوير العربي، الحوار المتمدن www.ahewa.torg
- غازي القصيبي، عن قبيلتي أحدثكم، (لندن منشورات الزمان 2001) www.pdffactorv.com

- في الأدب والنقد، بين شاعر الفلاسفة وفولتير العرب طه حسن/www.alhoor.se

- منذر الخفاجي، مقال بعنوان: أثر الشييع في شعر المتنبي

http.//www.hoclaonline.com/np27.09.2011.

- منذر الخفاجي، أثر التشييع في شعر المتنبي،

- نجم مجيد علي و م. زينب محمد حسين، القاضي الجرجاني عن تعليقات الوحيد الأزلي على شرح ديوان أبي الطيب المتنبي المسمى (الفُسر) مجلة كلية الآداب العدد 97 www.elmaarfa.com

- يتيمة الدهر الثعالبي. TOPDF. http://www.almostafa.com :.

http://www.al-hodohlin.com/np 27.9.2011.

فهرس المواضيع

الصفحة	العنـــــــــــــــــــــــــــــــوان
	شكر وتقدير
	الإهداء
أ-ب	مقدمة
07	مدخل
12	**الفصل الأول: السِّياق التاريخي والخلفيات المؤسسة لكتاب " مع طه حسين"**
13	**1- وقفة مع طه حسين**
17	**2- الخلفيات الفكرية لنقد طه حسين**
18	أ- التأثير النفسي
21	ب- تأثير الإستشراق في نقد طه حسين
28	جـــ- تأثير المنهج على فكر طه حسين
38	**3- السياق التاريخي لتأليف كتاب مع "المتنبي"**
39	مرور ألف عام على مصرع المتنبي
46	**الفصل الثاني: صورة المتنبي من خلال كتاب " مع المتنبي"**
47	**1- قراءة في مقدمة الكتاب**
50	**2- صورة المتنبي من خلال سيرته**
51	2-1 النص وثيقة تاريخية
56	2-2 طفولة المتنبي وصباه
63	2-3 صِبى المتنبي في العراق
65	2-4 إلى الشام
67	2-5 المتنبي في شمال الشام وفي طرابلس
68	2-6 المتنبي في اللاذقية
69	2-7 المتنبي في السجن
71	2-8 المتنبي بعد خروجه من السجن
72	2-9 المتنبي في ظل الأمراء

2-10 في ظل سيف الدولة	74
2-11 عتاب وفراق	78
2-12 في ظل كافور	80
2-13 فراره من كافور	85
2-14 خاتمة المطاف	87
3-شعرية المتنبي في نقد "طه حسين"	89
3-1 النقد الفني عند "طه حسين"	89
3-2 الخصائص الفنية لشعر المتنبي	93
3-3 نقد الأغراض الشعرية	104
3-4 الفخر	104
3-5 أدب السجون	106
3-5 السَّيفِيات	107
3-6 الكافوريات	108
3-7 شعر الوصف	109
4- بعد الفراغ	110
خاتمة	112
المصادر والمراجع	117
فهرس المواضيع	123